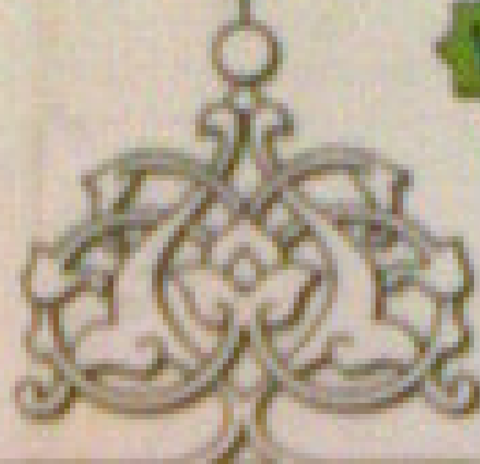
سلسلة
كتب إسلامية



الطريق إلى الله

تأملات

في آيات من القرآن الكريم





الداعية الإسلامي
ياسين رشدي

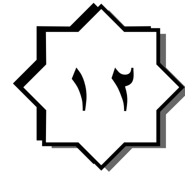






الطَّرِيقُ إِلَى اللهِ

سلسلة كتب إسلامية



تأملات

فى آيات من القرآن الكريم

الداعية الإسلامى

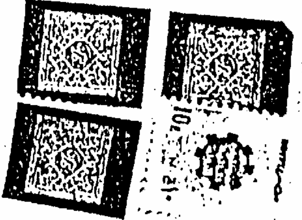
ياســين رشــدى

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

الأزهـــر
مجمـــع البحـــوث الاســـلامية
الادارة العـــامة
للبحـــوث والتـــاليف والترجمـــة



الســلام عليـكم ورحمـــة اللـــه وبركاته ـــ وبعـــد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : تأملات في آيات من القرآن الكريم
تاليف : ياسين رشدي

نفيد بأن الـــكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مـــانع من طبعـــه على نفقتـــكم الخـــاصة .

مع التـــاكيد على ضرورة العنـــاية التامة بكتـــابة الآيات القـــرآنية والأحاديث النبـــوية الشريفـــة .

واللـــــه المـــــوفق ،،،

والســـلام عليـــكم ورحمـــة اللـــه وبركاته ،،،

ممدوح ماهر

مدير عـــام
ادارة البحوث والتـــاليف والترجمـــة

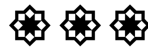
تحريرا في ١٧ / ١ / ١٤١٧ هـ
الموافق ٤ / ٦ / ١٩٩٦ م

٤ / ٦ / ١٩٩٦



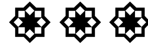
تقديم

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَسْمَعُ دُعَاءَ الْخَلائِقِ وَيُجِيب ..
يُؤْنِسُ الْوَحِيدَ ، وَيَهْدِى الشَّرِيدَ ، وَيُذْهِبُ الْوَحْشَةَ عَنِ الْغَرِيب ..
يَغْفِرُ لِمَنِ اسْتَغْفَرَهُ ، وَيَرْحَمُ مَنِ اسْتَرْحَمَهُ ، وَيُصْلِحُ الْمَعِيب ..
يَسْتُرُ الْعُصَاةَ ، وَيُمْهِلُ الْبُغَاةَ ، وَمَنْ تَابَ مِنْهُمْ قُبِلَ وَأُثِيب ..
يُكَلِّفُ بِالْقَلِيلِ ، وَيَجْزِى بِالْجَزِيلِ ، وَيَعْفُو عَمَّنْ بِالْعَجْزِ أُصِيب ..
مَنْ أَطَاعَهُ تَوَلاَّهُ ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْهُ لاَ يَنْسَاهُ ، وَلَهُ مِنَ الرِّزْقِ نَصِيب ..
يَرْزُقُ بِلاَ أَسْبَابٍ ، وَيُدْخِلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، فَلاَ فَضْحَ وَلاَ تَنْقِيب ..
نَحْمَدُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَنَسْأَلُهُ التَّنْظِيمَ لأَحْوَالِنَا وَالتَّرْتِيب ..
وَنَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ مِنَ الْفَسَادِ وَالإِفْسَادِ وَالتَّخْرِيب ..
وَنَرْجُوهُ الأَمْنَ وَالأَمَانَ ، وَالرِّضَا وَالرِّضْوَانَ ،
فِى يَوْمٍ يَسْقُطُ الْجَنِينُ فِيهِ ، وَالصَّغِيرُ فِيهِ يَشِيب ..



وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ الْمُهَيْمِنُ وَالرَّقِيب ..
مَنْ تَبِعَ شَرْعَهُ وَالاَهُ ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ فَازَ بِالتَّقْرِيب ..
مَنْ أَوَى إِلَيْهِ آوَاهُ ، وَمَنِ اسْتَحْيَا مِنْهُ فَلَيْسَ عَلَيْهِ تَثْرِيب ..

مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ ، وَمَنِ الْتَجَأَ إِلَيْهِ فَالْفَرَجُ قَرِيب ..
مَنِ اعْتَصَمَ بِهِ فَهُوَ مَوْلاَهُ ، وَمَنِ ارْتَجَاهُ مُخْلِصًا لاَ يَخِيب ..
مَنْ ذَكَرَهُ خَاشِعًا اجْتَبَاهُ ، وَمَنْ تَابَ إِلَيْهِ فَهُوَ مُنِيب ..
مَنْ شَكَرَ عَطَاءَهُ نَمَّاهُ ، وَمَنْ تَوَاضَعَ لَهُ نَجَا مِنَ التَّعْذِيب ..



وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُقَرَّبُ وَالْحَبِيب ..
خَلْقُهُ نِعْمَةٌ ، وَمَبْعَثُهُ رَحْمَةٌ ، وَشَمْسُ سُنَّتِه لاَ تَغِيب ..
نَظَرُهُ لَحْظٌ ، وَكَلاَمُهُ وَعْظٌ ، وَاللَّفْظُ مِنْهُ لاَ يَرِيب ..
نُورُهُ يَخْطَفُ الأَبْصَارَ ، وَمَسْجِدُهُ عَلَمٌ وَمَزَار ، وَأَنْفَاسُهُ مِسْكٌ وَطِيب ..
مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَم ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهِ فَهُوَ مِنَ الْجَنَّة قَرِيب ..
مَنْ رَآهُ فِى الْمَنَامِ فَقَدْ رَآهُ ، وَمَنْ بَايَعَهُ فَقَدْ بَايَعَ اللهَ ،
وَمَنْ دَعَا عِنْدَ قَبْرِهِ أُجِيب ..
مَنْ نَالَ شَفَاعَتَهُ اجْتَازَ ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْ حَوْضِهِ فَازَ ،
فَلاَ عِتَابَ وَلاَ تَأْنِيب ..
هُوَ تَاجُ أُولِى الْعَزَائِم ، وَقُدْوَةُ كُلِّ صَائِمٍ وَقَائِم ،
وَبِاتِّبَاعِهِ تَحْلُو الْحَيَاةُ وَتَطِيب ..
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ عَدَدَ مَا وَسِعَهُ عِلْمُ الْحِسَابِ مِنْ تَرْبِيعٍ وَتَكْعِيب ..

وَكُلَّمَا أَثْنَى عَلَيْهِ شَاعِرٌ أَوْ أَديب ، وَعَرَفَ حَقَّهُ عَالِمٌ أَوْ نَجيب ..
وَعَلَى الصَّحْبِ وَالآلِ وَكُلِّ مَنِ انْتَسَبَ إِلَيْهِ مِنْ بَعِيدٍ أَوْ قَرِيب ..

أمـا بعـد ،،

فالقرآن العظيم كتاب الله أوحى به إلى أفضل خَلْقه ، وأكمل رُسُله (ﷺ) .. وأودعه من العقائد والعبادات ، والْحِكَم والأحكام ، وفنون العلوم ، وأصول الفضائل ما به قوام الْمِلَّة الكاملة ، والأمة الفاضلة ، والدولة الراشدة ، وما به سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة .. فكان أفضل الكتب السماوية وأوفاها بما يحتاج إليه البَشَر ، وأبقاها على الدهر مُصَدِّقًا لها ومُهَيْمِنًا عليها .. وهو دعوة الحق إلى أن تقوم الساعة .. فيه نَبَأُ مَنْ قبلنا ، وخَبَر ما بعدنا ، وحُكْم ما بيننا ، وهو الفصل ليس بالْهَزْل .. مَنْ تَرَكه مِن جَبَّار قَصَمَه الله ، ومَن ابتغى الْهُدَى في غيره أضلَّه الله ، وهو حَبْل الله المتين ، ونوره المبين ، وهو الذِّكْر الحكيم ، والصراط المستقيم .. لا تَزِيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الأَلْسِنَة ، ولا تتشعَّب معه الآراء ، ولا يشبع منه العُلَماء ، ولا يملُّه الأتقياء ، ولا يَخْلَق من كثرة الرَّدِّ ، ولا تنقضي عجائبه .. مَنْ قال به صَدَق ، ومَنْ حَكَمَ به عَدَل ، ومَنْ عمل به أُجِر ، ومَنْ دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم ..

وقد تحدَّى ربنا تبارك وتعالى بالقرآن .. فهو معجزة النبي (ﷺ) الخالدة الباقية بعده إلى يوم القيامة .. فالإتيان بمثله ليس في قُدرة أَحَد من المخلوقين ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ..

هذا .. وإعجاز القرآن لا يقتصر على لغته من حيث اللفظ ، والنَّظْم ،

والإعراب ، وفنون اللغة العربية .. بل يتعدَّى ذلك إلى المعنى ، فالمعاني في القرآن بَحْر لا شاطئ له .. والقرآن حَمَّال وُجُوه .. لذلك تنوَّعت التفاسير واجتهد العلماء في كل زمان لاستكشاف ما تضمَّنته الآيات من علوم دينية ودنيوية واجتماعية وأخلاقية وكونية معتمدين في ذلك على أقوال الصحابة (رضوان الله عليهم) ، وما تحتمله الآيات من حيث وضع اللغة وإعرابها ومدلول ألفاظها وهم حذرون من أن يقولوا في القرآن برأيهم ، فإن مَنْ قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ ..

ولقد عَكَفْتُ على دراسة القرآن بفضل الله تعالى حِفْظًا وتجويدًا وتفسيرًا .. وتَتَبَّعْتُ أقوال العلماء في علوم القرآن المختلفة مثل الْمُحْكَم والْمُتَشَابه ، والنَّاسِخ والْمَنْسُوخ ، ووُجُوه الإعْرَاب المختلفة ، والْمَكِّي والْمَدَنِيّ ، والقِرَاءات المعتمدة ، وأسباب التَّنْزِيل .. إلخ .. وكذلك كل ما يُعِينني على الفهم من صحيح الحديث ، وأصول الفِقْه ..

وعلى رغم ذلك فقد صادفَتْنِي مواضع كثيرة من القرآن أثناء تلاوتي وقفتُ أمامها مَبْهُورًا مُتَأَمِّلاً في المعنى أو الْمَغْزَى مُعْتَرِفًا ومُقِرًّا بعظمة هذا الكتاب الذي لا تنتهي عجائبه ، ولا تنقضي غرائبه ، وسَمَحْت لنفسي بالسباحة في بحور معاني هذه المواضع فلم أصل إلى شاطئها فهتَفْتُ من أعماق قلبي (سبحان الله) .. ولقد أورثَنِي التأمُّل أُلْفَةً مع القرآن جعلته خير أنيس لي ، وأفضل جليس .. بل وزاد إيماني ويقيني بأنه الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خَلْفِه ..

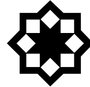
وتَمنَّيْتُ لو ذكرتُ بعض هذه التأملات للناس فَفَتَحَتْ لهم بَابًا لِحُبِّ

القرآن ، والتآلف معه ، وإعمال عقولهم فيه للتدبُّر فيجدوا المتعة التي وجدتُها ويذوقوا ما ذُقْتُه من حلاوة لا تُقَدَّر بِقَدْر ، بالإضافة إلى ما ينالهم من ثواب الله عز وجل ..

فاستَخَرْتُ الله تبارك وتعالى وتوكَّلْتُ عليه وخرَجْتُ من حَوْلِي وقُوَّتِي إلى حَوْلِه وقُوَّتِه رَاجِيًا منه العون والتوفيق ، وأن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم .. إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، وهو نِعْمَ الْمَوْلَى ونِعْمَ النَّصِير ..

وهَاكَ بعض التأمُّلات مُرَتَّبَة بحسب ترتيب السُّوَر فى المصحف .. لعلَّك – أيها القارئ الكريم – تبدأ فى التأمل فى كلام الله عَزَّ وجَلَّ ، وتستشعر المتعة فى ذلك ..

ياسين رشدى



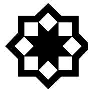
قول الله تعالى

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿٢﴾

سورة الفاتحة

- فاتحة الكتاب هي السبع المثاني وهي القرآن العظيم .. وهي سبع آيات افتُتِحَت بالحمد .. ولقد لفت نظري أن صيغة الكلمة لم تأت كفعل أمر للناس (احمدوا الله) وإنما جاءت فى صيغة الخبر ..
- وقد قال العلماء فيها الكثير من حيث معنى الحمد ودخول الألف واللام عليها ونوع هذا التعريف للحمد ..
- واستشعرت أن الله تبارك وتعالى قد تكفَّل بحمد نفسه فهو الحامد وهو المحمود أزلاً وأبدًا ..
- وقول العبد (الحمد لله) ما هو إلا ترديد لما قاله الله عز وجل بنفسه لنفسه ..
- تُرى هل معنى ذلك أن الحمد الذي يستحقّه الله لا يعرفه أحد ولا يُطيقه فهو حمد مخصوص لا ينبغي إلا له ؟ ولذلك اختلف عن الشكر الذى جاء بصيغة الأمر (واشْكُرُوا لله) في مواضع كثيرة من القرآن ، والذي يعني معرفة النعمة ، وأنَّها من فَضْل الله تعالى ، والقيام بحقِّها ، واستخدامها فيما خُلِقَت له ..

ربَّنَا لك الحمد .. لا نُحْصِي ثناءً عليك ..
أنت كما أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِك ..



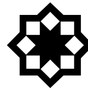
قول الله تعالى

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (٧)

سورة الفاتحة

- تُختَم الفاتحة بطلب الهداية إلى صراط الذين أنعم الله عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين ..
- ولا ينجو من هذين الوصفين إلا من أنعم الله عليه بالهداية إلى الصراط المستقيم .. أي إن الإنسان لو تُرِك لنفسه ما اهتدى أبدًا ، ولا عرف طريق الحق !!
- من رحمة الله تبارك وتعالى علينا أن شرع لنا قراءة الفاتحة في كل ركعة من ركعات الصلاة ..
- على المسلم أن يقرأ الفاتحة مستشعرًا معانيها حتى ينال شرف الهداية إلى صراط الذين أنعم الله عليهم ..
- الذين أنعم الله عليهم هم : النبيون والصِّدِّيقون والشُّهَداء والصَّالِحُون ..

جعلنا الله تبارك وتعالى منهم ..



قول الله تعالى

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

سورة البقرة

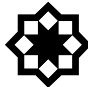
- هل معنى ذلك أن « آدم » (عليه السلام) خُلِق للأرض وأن وجوده فى الجنة كان مَوْقُوتًا وإلى حين ؟! .. وأن دخوله الجنة كان لكي يتعرَّف ما فيها من النَّعِيم المقيم ، فإذا خرج منها اشتاق إلى العودة إليها ، فعمل من أجل ذلك هو وذرِّيته بالأسلوب الذى رسمه الله للوصول إليها ؟!
- هل خُلِقَ « إبليس » لكى يكون فِتْنَة « لآدم » (عليه السلام) ولذرِّيته من بعده ؟! .. فمَنْ نَجَا فقد نَجَا بفضل الله .. ومَنْ هلك هلك بإرادة الله ؟!
- طاعة الملائكة لله فى السجود « لآدم » (عليه السلام) كانت لأنَّهم لم يُمْنَحوا حق الاختيار بل هم مجبولون على الطاعة .. ومعصية « إبليس » كانت لأنه أُعْطِيَ حق الاختيار فاختار العصيان .. هل الأمر كذلك ؟!
- اشترك « آدم » (عليه السلام) و« إبليس » فى المعصية ، فكلاهما عصى ، أما « آدم » (عليه السلام) فقد عصى ربه بالأكل من الشجرة ، وأما « إبليس » فقد عصى ربه بالامتناع عن السجود « لآدم » (عليه السلام) .. ومع ذلك أقرَّ « آدم » (عليه السلام) بخطئه فتُدُورِك باللطف ، وتلقَّى من الله كلمات التوبة .. أما

« إبليس » فلم يُقِرّ بخطئه ، وجادل ليبرِّر خطيئته فطُرِدَ من الرحمة .. فهل يُفْهم من ذلك أن الطريق إلى رحمة الله وتوبته على العبد أن يَتَّهِم نفسه ويُقِرَّ بذنبه ولا يبرِّر أخطاءه بالظروف أو بسبب وساوس الشيطان أو بسبب غلبة الشهوة عليه أو .. إلخ ؟!!

- كيف عرف الملائكة أن الإنسان سوف يُفسد فى الأرض ويَسْفِك الدماء ؟ أعرفوا ذلك من كونه خُلِقَ ليكون خليفة فى الأرض .. والخليفة هو الحاكم ، ولا يحتاج الناس إلى حاكم إلا إذا ثارت الخلافات بينهم والنِّزاعات فاحتاجوا إلى مَنْ يقضي بينهم بالعدل ؟! .. أم لأن الإنسان خُلِق مختارًا وتُرِك لنفسه لكي يختار ما يشاء ؟!! .. أم باعتبار المادة التي خُلِق منها وهى (التراب) فإن عنصر التراب يختلف عن غيره من العناصر ؟!
- لماذا أخبر الله ملائكته بعزمه على خلق « آدم » ؟ وهل يخبرهم كذلك عند عزمه على خلق أشياء أخرى كالسماوات والأرض والكواكب والنجوم مثلا ؟!
- أأذن الله للملائكة بإبداء رأيهم في خلق « آدم » ، أم كان استفسارهم تلقائيًّا ؟!

سبحان مَنْ يخلق ما يشاء ويختار ..

ولا تُعَلَّل أفعاله بالعِلَل ولا تخلو من الحكمة ..



قول الله تعالى

وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾

وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

سورة البقرة

شغل الكلام عن « بني إسرائيل » مساحة كبيرة من سورة « البقرة » ، بل من القرآن كله ، ولم تحظ أمَّة من الأمم بِهَذا الحديث المستفيض عن قصتهم وأفعالِهم ، وحكاياتِهم ، وقد ذُكِرَ في سورة « البقرة » سبع نِعَم أنعم اللهُ بِهَا عليهم ، وسبع معاصِيَ لهم ، وسبع عقوبات وُقِّعَت عليهم ..

والمتأمِّل في الكلام عن بني إسرائيل يجد أقوالاً عجيبة قالوها ، وأفعالاً غريبة ارتكبوها مثل :

- شرطهم على « موسى » (عليه السلام) أن يريهم الله حتى يؤمنوا به ..
- طلبهم من « موسى » (عليه السلام) أن يجعل لهم إلَهًا ، ولم تجف أقدامهم بعد من ماء البحر الذي جاوزه « موسى » (عليه السلام) بِهِم هربًا من « فرعون » وجنوده ..
- اعتراضهم على رزق الله (الْمَنّ والسَّلْوَى) الذي كان يأتيهم بغير كَدٍّ ولا تعب ، وطلبهم للأدنى مما تُخْرِج الأرض من الثوم والبصل والحبوب ..
- تعنُّتهم مع « موسى » (عليه السلام) حين أمرهم بذبح بقرة ..
- عبادتُهُم للعِجْل حين تركهم « موسى » (عليه السلام) وذهب إلى الطور لتَلَقِّي التوراة ..
- رفضُهُم الأخذ بما جاء في التوراة حتى نتق الله الْجَبَل فوقهم كأنه ظُلَّة وخافوا أن يقع عليهم فقَبِلوها مُرْغَمِين وكارهين ..
- جرأتُهُم على الله ورفضهم دخول الأرض المقدسة وطلبهم من « موسى » (عليه السلام) أن يذهب هو وربُّه لقتال أعدائهم ..
- عصيانُهُم لأمر الله بدخولهم القرية بغير الطريقة التي أُمِرُوا بِهَا ، وبتحريفهم لما أُمِرُوا أن يقولوه .. وقد أُمِرُوا أن يدخلوا القرية التي كتب الله لهم متواضعين خاشعين مستغفرين ..
- أمور وأمور أغرب من الخيال ، وجرأة وتعنُّت وعصيان .. كل ذلك في عصر النبوة و« موسى » (عليه السلام) بين ظهرانيهم !! فكيف بِهِم ، وبذريتهم بعد أن فارقهم « موسى » (عليه السلام) وانتقل إلى الرفيق الأعلى ؟! لقد

وصفهم القرآن بأوصاف بشعة منها :

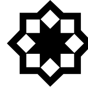
أنَّهم لا يوفون بالعهود .. يأكلون السُّحْت .. يأخذون الرِّبا .. لا يتناهون عن مُنْكَر فعلوه .. قتلهم الأنبياء .. تحريفهم التوراة ، وافتراؤهم الكذب على الله .. زعمهم أن النار لن تمسَّهم إلا أيامًا معدُودة .. زعمهم أن « إبراهيم » (عليه السلام) كان يهوديًّا .. زعمهم أنه لن يدخل الجنة إلا مَنْ كان يهوديًّا .. زعمهم أنَّهم أبناء الله وأحباؤه .. تآمرهم على النبي الخاتم (صلى الله عليه وسلم) مع معرفتهم ويقينهم بأنه رسول الله حَقًّا ، وعندهم وصفه واسمه في كتابِهِم .. زعمهم أن عبدة الأصنام أهدى من المؤمنين بالله ورسوله .. بل الأدهى من كل ذلك زعمهم أن « عُزَيْرًا » هو ابن الله ..

- تُرَى لم كل هذا الاهتمام بإبراز حقيقة اليهود ؟! أهي مجرد حكايات يتسامر الناس بقراءتِهَا ؟ أم إن الأمر أجَلّ من ذلك وأخطر ؟ هل يُفْهَم من ذلك أن العَدُوّ الرئيسي والمستمر في كل زمان للمسلمين هم اليهود ؟ هل يجب على المسلمين أن يضعوا نصب أعينهم هذه الحقائق عند تعاملهم مع اليهود أو إبرام المعاهدات والاتفاقات معهم ؟ إذا كان هذا شأنـــهم مع أنبيائهم ورُسُلهم فكيف يكون شأنـــهم مع حكَّام المسلمين وهم ليسوا بأنبياء ولا مُرْسلين ؟!!
- ما فائدة الآيات التي نتلوها وتُتلى علينا من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خَلْفه ؟ أهي للتبرُّك ؟ أهي للتسلية بحكايات وقصص عن بني إسرائيل حدثت في قرون ماضية ؟ أم هي للعظة والعبرة والتدبُّر

والتأمل ، ولكي يضعها المسلم نصب عينيه ليعرف عَدُوَّه الأبدي فيأخذ حذره في التعامل معه ؟!!

أفيقوا أيها الناس من نومتكم ، وانتبهوا من غفلتكم فالأمر جد خطير ، والفِتَن كقطع الليل المظلم تدع الحليم حيران ..

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ..



قول الله تعالى

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

سورة البقرة

- نزلت آيات كثيرة من القرآن إجابة لتساؤلات الصحابة ليتعلَّموا ، أو إجابة لتساؤلات بعض المتعنِّتين من اليهود والمشركين ، وكلها جاءت بصيغة (يَسْأَلُونَكَ) وجاءت الإجابة مسبوقة بكلمة (قُلْ) .. ويلفت النظر في هذه الآية أن الإجابة لم تأت مسبوقة بكلمة (قُلْ) ..
- جاءت الآية في سياق أحكام الصيام .. فهي مسبوقة بأحكامه ومتبوعة كذلك بأحكامه ..
- تُرَى هل يُفْهم من ذلك أن دعاء الصائم مطلوب حال صيامه وأن دعاءه لا شك مقبول ؟ .. ولماذا لم تأت كلمة (قُلْ) قبل إجابة السؤال ؟!
- هل يُشعرنا ذلك بأن إجابة الله للدعاء أسرع من الدعاء نفسه ، وأنه ليس بين الله وبين عباده حِجَاب أو واسطة فجاءت إجابة السؤال سريعة غير مسبوقة بـــ (قُلْ) اختصارًا للوقت والكلام ، ليصبح الخطاب مباشرًا للسائلين دون الحاجة إلى إخبارهم بمعرفة الرسول (ﷺ) فلم تأت كلمة (قُلْ) ؟!!

سبحان الله ..

قول الله تعالى

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾

سورة البقرة

- من الملاحظ أن هذه الآية جاءت في سياق أحكام الطلاق والعِدَّة وحقوق المرأة الْمُتَوَفّى عنها زوجها وخِطْبة الْمُطَلَّقة والأَرْمَلة .. إلخ .. ومن المعلوم لكل دارس للقرآن وقارئ له أن الآيات مترابطة كحلقات العقد الواحد ، وكل آية متعلِّقة بما قبلها وبما بعدها برباط واضح جدًّا تارة ، وبرباط يتضح بقليل من التأمل تارة أخرى .. أما هنا فإن اعتراض الأحكام بآية المحافظة على الصلاة غير واضح ، وليس له سبب ظاهر مما يدعو إلى التأمل !!
- فهل يشعرنا ذلك بأن الأحكام المذكورة لن ينفذها بدِقَّة إلا مَنْ يحافظ على صلاته ؟!!
- وهل يعني ذلك الإشارة إلى أن المحافظة على الصلوات هي أساس اختيار شريك الحياة حتى تكون الأمور مستقرة بينهما بالمعاشرة الطيبة ومخافة الله .. فإن حدثت الخلافات بينهما لم يكن هناك تظالُم بل تراحم وتنفيذ لأحكام الله كما وردت ؟!!
- لما كانت الصلاة هي أول ما يُسْأَل عنه العبد يوم القيامة فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله .. كان من الطبيعي أن يسري ذلك على المعاملة بين الزوجين ، فإن صلحت صلاتُهما صلح التعامل بينهما .. هل الأمر كذلك ؟!!

قول الله تعالى

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنْۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾

سورة البقرة

حين رفض « بنو إسرائيل » دخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم ، وطلبوا من « موسى » (عليه السلام) أن يذهب هو وربُّه لقتال الجبارين فيها حَكَم الله عليهم بالتِّيه أربعين سنة .. ومنذ ذلك التاريخ و« بنو إسرائيل » مشردون في الأرض إلاَّ في فترات قليلة حين بعث الله منهم الأنبياء ملوكًا أقوياء كما حدث في زمن « داود » و« سليمان » (عليهما السلام) فساسوهم بالقوة والقهر ..

والآية تحكي لنا فترة من هذه الفترات حيث تسلَّط عليهم قوم جبارون فساموهم سوء العذاب فاستغاثوا بنبيِّهم وبَدَا أنَّهم يرغبون في الاستقامة ..

وبالتأمُّل في هذه الآية تتَّضح لنا أمور :

- كان من الممكن أن يقودهم نبيُّهم في هذه الحرب ومع ذلك طلبوا منه اختيار مَلِك ليقودهم مما يدلُّ على سوء الأدب ، والتعنُّت الذي لا ينفكُّ عنهم ..
- توقع نبيُّهم مخالفتهم للأمر إذا فُرِضَ عليهم القتال فحذَّرهم ومع ذلك ضربوا بتحذيره إياهم عرض الحائط ، ثم صدق فيهم ظنُّه !

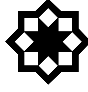
قول الله تعالى

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

سورة البقرة

- حين أخبرهم نبيُّهم باختيار الله « لطالوت » ليكون ملكًا عليهم قابلوا ذلك بالرفض بمنتهى الجرأة وخطَّأوا هذا الاختيار لفَقْر « طالوت » ، وكأن المال هو محور الحياة وأساس التفاضل بين الناس ، وغفلوا عن مقومات القيادة من سَعَة في العلم وبسطة في الجِسْم ، ورجاحة في العقل ..
- لم يقبلوا هذا الاختيار و لم يخضعوا له إلا بآية قاهِرَة وهي رؤيتهم للصندوق الذي فُقِدَ منهم – وكان فيه بعض الآثار التي تركها « موسى » و« هارون » (عليهما السلام) – يطير أمامهم في الهواء ، فقد كانت تحمله الملائكة وهم لا يرون الملائكة طبعًا .. كما حدث من أسلافهم حين لم يقبلوا التوراة إلا بعد أن نَتَقَ الله الجبل فوقهم كأنه ظُلَّة ..

• قبول أوامر الله قَهْرًا لا يدل على صدق الإيمان لذلك كان لابد من الاختبار ليتميز مَنْ أطاع الله عن اقتناع وإيمان وحرية ، ومَنْ أطاعه قهرًا .. فإنَّهم كانوا مُقبلين على قتال عدوٍّ شديد البأس لا يصلح له إلا الذين آمنوا إيمانًا اختياريًّا ، ووثقوا بربِّهم ، وتوقعوا إحدى الْحُسْنَيَيْن : إما النصر وإما الشهادة ..



قول الله تعالى

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾

سورة البقرة

- كان الاختبار بالحِرمان من الماءِ وقت شِدَّة العَطَش والتعب من السفر .. ونتج عن الاختبار انقسامهم إلى **فرق ثلاث** : **فرقة** عصت وشربت فوقعوا مكانـــهم ولم يستطيعوا التحرك مع الجيش ، ولو تحركوا لفرُّوا من أمام عدوِّهم وثبَّطوا هِمَمَ المخلصين .. **فرقة** شربت قليلاً ويبدو أن هؤلاء هم الذين وقع الرعب فى قلوبِهم عند رؤيتهم للعَدُوّ وقالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده .. **فرقة** أطاعت الأمر ونفَّذته بحذافيره فلم يشربوا من النهر .. وهؤلاء هم الذين ثبتوا لعدُوِّهم واثقين من نصر رَبِّهم ، فأيَّدهم الله ونصرهم وبعث منهم « داود » (عليه السلام) ملكًا ونبيًّا ..
- من ذلك يتضح لنا الفارق بين الطاعة الكاملة ، وبين بعض الطاعة ، وبين العصيان ..

ولله عز وجل أن يختبر عباده بما يشاء ..

نسأله سبحانه أن يجعلنا عبيد إحسان ولا يجعلنا موضع امتحان ..

قول الله تعالى

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

سورة البقرة

يتضح من الآية :

- أن الكافر لا يَكْفُرُ عن جهل أو عدم وجود الدليل الواضح على وجود الله عز وجل ، بل يكفر عن عِلْم وعِناد واستكبار فاستحقَّ الخلود فى النار ..
- أن مُجَادَلة الكفار تحتاج إلى حِلْم وعِلْم وحِكْمَة وتأييد من الله عز وجل ، وأن يكون المجادل مخلصًا هادفًا إلى إظهار الحق لا إلى انتصار رأيه على رأي الآخر ..
- أن « إبراهيم » (عليه السلام) لم يُسْتَدْرج إلى ما حاول الْمَلِك استدراجه إليه من الْجَدَل العقيم ، فإنَّ قَتْل إنسان ، وتَرْك آخر دون قَتْلٍ لا يعني إماتة ولا إحياء ، فإن الإحياء والإماتة هما خلق الحياة والموت بنفخ الروح في الأجساد ونَزْعها منها .. وانتقل « إبراهيم » (عليه السلام) إلى أمر حقيقي واقع مُشاهد بالعين الْمُجرَّدة لا يحتمل الإنكار ولا الجدال ويخرج عن سلطان الْمَلِك ألا وهو حركة الشمس الظاهرة من المشرق إلى المغرب ، فانقطعت حُجَّة الكافر فلم ينطق بكلمة ..
- سوف يأتي الله بالشمس من المغرب قبل قيام الساعة – حيث يقفل باب التوبة – وهذا من كُبْرَى علامات يوم القيامة ..

قول الله تعالى

أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

سورة البقرة

- لقد خلق الله تبارك وتعالى الدنيا ولها سُنَنٌ وقوانين لا تَخْتَلّ ، وربط بين الأسباب والمسبّبات برباط عادي ، وأتاح للناس اكتشاف خواص الأشياء ، وألهمهم الاستفادة منها حتى تتطوَّر الحياة على الأرض بما يتيح رفاهية الإنسان وحصوله على ضرورات حياته بأسلوب أمثل وأيسر ..
- خالق القوانين لا تُقيِّده القوانين ولا تَحُدُّ من مشيئته ، فله أن يسلب الأشياء خواصها كما سلب من النار خاصية الإحراق حين أُلْقِي فيها « إبراهيم » (عليه السلام) ، وسَلَب من الماء خاصية الْجَرَيَان والميوعة حين جاوز « بموسى » (عليه السلام) وبقومه البحر ..
- ما ذُكِر فى القرآن من أمثال هذه الأمور يُؤَكِّد قُدْرَةَ الله عز وجل ، وأنه كما أوجد الأشياء بأسباب له أن يُوجِدَها بغير أسباب كما خلق الوجود

من عَدَم ..

- الآية تصف ثلاثة مشاهد : حالة المتسائل .. الذي قِيل إنه « عُزَير » أحد أنبياء بني إسرائيل ، وحالة الطعام والشراب ، وحالة الحِمار .. وتوضِّح تأثير الزمن على الجميع وكيف اختلف هذا التأثير على رغم اتِّحاد المكان ، ومن المعلوم أن الزمان مخلوق وهو نتيجة دَوَرَان الأرض حول نفسها وتتابع الليل والنهار ..
- أما « عُزَير » فقد مات ميتة مؤقَّتة لمدَّة مائة عام .. فكيف بقى جسده كما هو من دون طعام وشراب وبُعِث كما مات دون أن يُؤَثِّر الزمن فيه أو تؤثِّر الأرض فى جسده ، أو يصاب بقرحة الفراش التى تصيب الرَّاقِدين مدة طويلة بسبب المرض ؟!!
- وأما الطعام والشراب فقد بقى كما هو من دون أن تُؤَثِّر فيه السنون أو الجراثيم أو تأكله دابة أو طائر !!
- وأما الحمار فقد تأثَّر بالسُّنَن الكَوْنِيَّة ومات وتآكل لحمه ورمَّ عظمه ، فأحياه الله وأعاده كما كان فى لحظات مما جعل « عُزَيْرًا » يهتف من أعماقه : ﴿ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ ..
- فهل لنا أن نَهْتِف بِهِتَاف « عُزَيْر » بعد أن علمنا قِصَّته ، ولا نيأس أبدًا من رَوْح اللهِ ، ولا نجعل الأسباب تلهينا عن المسَبِّبِ عز وجل ، ونفهم سِرَّ الْخُلُود في الحياة الآخرة حيث يتوقَّف الزمان عن الْجَرَيَان !!

سبحان مَنْ أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ..

قول الله تعالى

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزًا ۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾

سورة آل عِمْران

بالتأمُّل فى هذه الآيات تتَّضح لنا أمور ، ويثُور التساؤل في أمور :

- مقام السيدة « مريم » وعناية الله بِهَا وإيمانُهَا المطلق بالله وقدرته ..
- انتهاز « زكريا » (عليه السلام) الفرصة – بعد رؤيته لمعجزة الطعام – فى طلب الولد وتحرّى الطلب وهو قائم يصلي فى المحراب ..
- الاستجابة الفورية لدعائه قبل مغادرته المحراب حيث بَشَّرَته الملائكة بالولد ..
- طلب « زكريا » (عليه السلام) لعلامة يَعْرف بِهَا حدوث الْحَمْل إذ كانت امرأته عاقرًا كبيرة السن لا تحيض ، وعلامة الحمل المعتاد انقطاع الحيض ، وهذا لن يحدث في حالتها ..
- كانت علامة حدوث الحمل انقطاع « زكريا » (عليه السلام) عن الكلام ثلاثة أيام دون مرض وبغير اختيار منه فى الوقت الذى أُمِرَ فيه بذكر الله كثيرًا وتسبيحه بالعشي والإبكار ، بمعنى أنه إذا أراد أن يتكلم مع أحد من الناس

امتنع لسانه ولم يقو على النطق ، وإذا أراد أن يُسَبِّح الله عز وجل انطلق لسانه بالذكر والتسبيح ..

- هل يَدُلُّ ذلك على أن ذكر الله رحمة ونعمة لم يرد الله أن يحرم « زكريا » (عليه السلام) منها خلال الأيام الثلاثة ؟!
- لماذا لم يطلب « زكريا » (عليه السلام) الولد إلا عندما فوجئ بمعجزة وجود الطعام عند « مريم » ؟ هل تنبّه إلى أن الأسباب وعدمها لا تُؤَثِّر فى وجود الأشياء ، وأن مَنْ أوجدها بأسباب قادر على إيجادها بغير أسباب في هذه الدنيا التى لا تحدث فيها الحوادث إلا وهى مرتبة على أسباب وسُنَن لا تتحوَّل ولا تتبدَّل ؟!
- لماذا قيل « لزكريا » (عليه السلام) عند تساؤله عن كيفية حدوث الْحَمْل : (كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ)[1] وعندما تساءلت « مريم » التساؤلَ نفسَه قيل : (كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ)[2].. هل لأن الأمر فى حالة « مريم » أمر خَلْقٍ لعدم وجود الأب ، والأمر فى حالة « زكريا » (عليه السلام) أمر فِعْل لوجود الأب والأم ، والمسألة مسألة إيجاد السبب أو رفع المانع ؟!
- لماذا كان الرزق يأتي « مريم » دون جهد أو تعب فى كل وقت وحين مع تنوّعه بدليل أن « زكريا » (عليه السلام) كلَّما دخل عليها وجد عندها رزقًا مختلفًا عن سابقه ؟! وتُرى أكانت تعطيه منه أم إنه لم يكن يُبَاح لغيرها ؟!

---

(1) سورة آل عمران آية ٤٠ .

(2) سورة آل عمران آية ٤٧ .

- كيف تُؤْمَر « مريم » وهى فى غاية التَّعَب والنَّصَب والخوف والهلع بعد الوضع مباشرة أن تَهُزَّ جِذْع النخلة ليتساقط الرُّطَب ، وعليها بعد ذلك أن تَجْمَعَه ثم تغسله قبل أن تأكله بينما كان يأتيها الرزق فى مِحْرابِهَا من دون مشقَّة أو سؤال ؟! أكان ذلك لتتلهَّى عمَّا هِيَ فيه من خوف وفزع ؟ أم إن التى تضع مولودها عليها بالحركة الفورية والمستمرة لكي تعود أجهزة الجسم إلى ما كانت عليه قبل الْحَمْل والوضع ؟! أم للأمرين معًا ؟ .. أم لا هذا ، ولا ذاك ؟
- أُلْجِئَت « مريم » إلى نَخْلَة عندما جاءها المخاض وأُمِرَت بأكل الرطب والشرب من الماء الجاري ..
- عندما قذف الحوت « بيونس » (عليه السلام) إلى الشاطئ وهو سقيم أنبت الله عليه شجرة من يَقْطِين [1] ..
- حين اشتكى « أيوب » (عليه السلام) فجَّر الله له عينًا يشرب منها ويغتسل بمائها البارد ..
- فهل يشعرنا ذلك بأن الأطعمة والأشربة لها فوائد علاجية بالإضافة إلى فوائدها الغذائية تختلف باختلاف الحالات ؟ ففي حالات الولادة يصلح التمر ، وفى حالات السقم يصلح القَرْع ، وفي حالات الأمراض الجلدية لابد من العلاج ظاهريًّا بالادِّهان وباطنيًّا بشرب الدواء المناسب !

فسبحان مَنْ خلق الدَّاء وخلق الدَّواء ..

اللهم عافنا من كل بلاء الدنيا وعذاب الآخرة ..

---

(1) يَقْطِين : قَرْع .

قول الله تعالى

يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾

سورة النساء

- لم تكن العرب تَعْدِل بين الأولاد فى الميراث ، وكانوا يُوَرِّثون الابن الأكبر الذي حمل السلاح ويحرمون باقي الأبناء من الميراث ، وكانت النساء لا تَرِث شيئًا .. فَنَزَلَت أحكام الميراث لتُحَقِّق العَدْل بين الجميع ، وتُؤَلِّف بين القلوب ، وتزيل الحزازات ، وما يعتمل فى النفوس من إحساس بالظلم .. ولقد لفت نظري فى الآية التعبير بكلمة (أَقْرَبُ لَكُمْ نَفعًا) لا بكلمة (أَكْثَرُ لَكُمْ نَفعًا) ..
- وبخبرتي في الحياة ومشاهداتي لحالات كثيرة علمت أن كلمة (أَقْرَب) هي الأصوب ، والأمثل .. إذ قد يكون الأكثر نفعًا أبعد مكانًا فلا يصل نفعه ، أو يتأخَّر عن وقته ، وتكون الحاجة مُلِحَّة ولا يُؤَدِّيها إلا الأقرب مكانًا ..
- وقد رأيتُ رَجُلاً يُفَضِّل أحد أبنائه على الآخر لطيبته وبِرِّه وطاعته له وامتيازه في دراسته ، وكان عازِمًا على إيثاره في الميراث .. ومرت الأيام وسافر الابن البارُّ

إلى الخارج لاستكمال دراسته ومرض الأب مرضًا شديدًا ، ولم يجد مَنْ يقف إلى جِوَارِه ويخدمه في مرضه إلا الابن الآخر الذي كان ينوي حِرْمَانَه من الميراث ، وكان هذا الابن غاية في العناية بأبيه يفعل له ما تفعله الأم لرضيعها ..

- ولقد رأيتُ رَجُلاً شديد الْحُبِّ لزوجته كان ينوي كتابة ثروته باسمها حتى لا يرثه أبواه أو إخوته فلم يكن له من الأولاد سوى ابنة صغيرة .. وفجأة مرض هذا الرجل بمرض عُضال ، ولم يجد مَنْ يخدمه ويرعاه سوى الأب والأم ، أما زوجته فقد تركت بيت الزوجية إلى بيت أبويها مطالبة بالطلاق ليأسها من شفائه ومَلَلِها من خدمته ..
- ولقد كتب رجل ثروته كلها لابنته حتى لا يشاركها إخوته في الميراث ، وتزوجت الابنة ، ثم مرضت وماتت من دون أولاد فورثها أبوها ، وزوجها الذي لم يعاشرها سوى عشرة أشهر ، وكانت تُصيب الرجل حسرة شديدة كُلَّما تَخَيَّل زوج ابنته المتوفاة يتمتع بثروته التي جمعها بعد كَدٍّ وتعب وقد أتى بامرأة أخرى لتعيش في بيت الزوجية الذي وَرِثه من زوجته السابقة وتتمتَّع بأثاثها ومجوهراتِهَا .. إلخ ..
- وهكذا نجد أن الله تبارك وتعالى هو الأعلم بمصالحنا ، وأنه لا يأمرنا إلا بما فيه سعادتنا الدنيوية والأخروية ، وأن أوامره جل وعلا هي العدل المطلق .. ومحاولة تغيير شرع الله أو التحايل عليه محاولة جاهلة إذ لا يدري الإنسان ما يكون في غده ، ولا يعلم مَن الذي ينتهي أجله أولاً ..

وسبحان مَن لا يقضي إلا بالحق ، ولا يحكم إلا بالعدل ..

قول الله تعالى

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾

سورة النساء

- الكراهية في الآية يُقصد بِهَا الْمَلَل بعد قضاء الوطر .. فقد تكبر الزوجة في السن ، ويرهقها الحمل والولادة والعناية بأطفالها .. ويشتهي الزوج أن يحظى بزوجة شابة جميلة تعيد إليه شبابه .. وهنا يفاجأ بأن الخير الكثير يأتي عن طريق مَنْ كرهها كما جاء في الآية ..
- ولقد كان يشغلني كثيرًا التفكير في هذا المعنى متأمِّلاً مندهشًا من هذا التعبير متسائلاً : أي خير هذا الذي يُنتظر من زوجة أرهقها الحمل والولادة وملَّها زوجها ؟! وجاءتني الإجابة سريعة في حالة رجل أصابه الملل الشديد من زوجته ، وصادف أخرى أكثر شبابًا وحيوية وأبْهَى منظرًا ، واتَّفَقَا على الزواج ، وجاءني مستشيرًا فطلبتُ منه التريُّثَ قليلاً وألا يتَّبع هواه .. و لم يمض من الزمن إلا قليل وأُصِيب الرجل بمرض أقْعَدَه وألزمه الفراش .. وإذا بزوجته التي كان ينوي مفارقتها أو الزواج عليها يدُبُّ فيها النشاط وتقف إلى جواره وترعى أعماله التي لم يعد قادرًا على مباشرتِهَا ، وتخدمه خِدْمة الأم لوليدها فتطعمه بيدها ، وتنظِّفه ، وتُغَيِّر له ملابسه .. إلخ ..

وسبحان مَنْ هو بعباده رؤوف رحيم ..

قول الله تعالى

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ ٩٤

سورة النساء

- لقد نزلت هذه الآية في مناسبة خاصة – ذكرها العلماء – وهي حين قَتَلَ أحدُ الصحابة مشركا بعد أن نطق بكلمة الإسلام ظنا منه أنه قالها ليقي نفسه من القتل فعاتبه الرسول (ﷺ) .. والتأمل هنا ليس في القصة أو سبب النـــزول وإنما في التوجيه الإلهي بتذكير المؤمنين أنَّهم كانوا مثل هؤلاء المشركين قبل أن يُوَفِّقَهم الله للإسلام حتى لا يتفاخر المسلم بإسلامه ، ولا المؤمن بإيمانه ، ولا يتطاول على غيره ممن لم يُوَفَّق للإسلام أو الصلاح بعد .. ولذلك لا يتقبَّل الله صلاة مَنْ تطاول بِهَا على أحد من الناس ، وإنما يتقبَّلها ممن تواضع بِهَا لعظمته و لم يتطاول بِهَا على أحد من خَلْقه ..
- يُعلِّمنا هذا أن نترَفَّق بالعصاة ، وأن تكون دعوتنا لهم بالحِكْمة والموعظة الْحَسَنة ، لا بالتعنيف أو السخرية ، فرُبَّ عاص بالأمس طائع في الغَد ، ورُبَّ طائع بالأمس عاص في الغد .. والْهُدَى هُدَى الله ، والعبرة بالخواتيم .. وعلينا أن نتذكَّر أحوالنا بالأمس القريب قبل أن يُوَفِّقنا الله للهداية والرشاد ..

وسبحان مَنْ يهدي مَنْ يشاء إلى الصراط المستقيم ..

قول الله تعالى

﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ (١١٠)

سورة النساء

- لو تأمَّل العاصي في صياغة هذه الآية لم يَيْأَس من رحمة الله أبدًا .. فإن كلمة (ثُمَّ) تفيد التراخي ، ومعنى ذلك أن استغفار العبد لا يشترط فيه أن يكون عقب المعصية مباشرة .. بل من الممكن أن يكون الاستغفار والتوبة بعد وقوع المعصية بشهور أو بسنين عديدة .. بل ويمكن أن يكون على فراش الموت ..
- والتعبير بكلمة (يَجِد) فيها معنى الفورية وفيها التأكيد بحصول المراد .. فكأن العبد أخذ الفرصة في مراجعة نفسه مدة عمره بالكامل فإذا استغفر غُفِر له على الفور من دون تسويف أو تراخ .. أَيُّ حنان هذا ! وأي رحمة هذه ! وأي فرصة هذه !
- فهل لنا أن نطمع في رحمة الله تعالى وعفوه ، وأن ننتهز الفرصة فنسارع إلى الاستغفار والتوبة واثقين من قبول توبتنا ، متيقنين من عفو الله وصفحه .. وقد عَلَّمنا رسول الله (ﷺ) صيغًا للاستغفار كثيرة نذكر منها :
- قوله (ﷺ) : مَنْ قَالَ : (**أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْه**) غُفِرَ لَهُ ، وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ .. [1]
- وقوله (ﷺ) : مَنْ قَالَ : (**سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ**) فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ ،

---

[1] رواه الترمذي كتاب الدعوات .

حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ [1] .. [2]

- وقوله (ﷺ) : سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ : (**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ [3] لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لِي ، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ**) .. قال : وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .. وَمَنْ قَالَهَا بِاللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .. [4]
- وقوله (ﷺ) : مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ [5] فَقَالَ : (**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .. الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ**) ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، أَوْ دَعَا ، اسْتُجِيبَ لَهُ .. فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاَتُهُ .. [6]
- وعَنْ « أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ » (رضي الله عنه) أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ (ﷺ) : **عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي** .. قَالَ : قُلْ : (**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ**

---

[1] « الزبد » : الرغوة التى تعلو الماء عند اضطرابه . [2] رواه البخارى كتاب الدعوات .

[3] « أبوء » : أعترف . [4] رواه البخارى كتاب الدعوات .

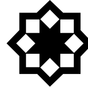
[5] « تَعَارَّ من الليل » : استيقظ من نومه وهو يذكر الله بأي ذكر .

[6] رواه البخارى كتاب الجمعة .

وَارْحَمْنِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)[1] ..

- وعَنْ « أَبِي هُرَيْرَةَ » (رضي الله عنه) قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) إِذَا كَبَّرَ فِي الصَّلَاةِ سَكَتَ هُنَيَّةً قَبْلَ أَنْ يقْرَأَ ، فَقُلْتُ : **يَا رَسُولَ اللَّه ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ ؟!** .. قَالَ : أَقُولُ : (**اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ**[2] ، **اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرَدِ)**[3] ..

هذا .. وعلينا أن نعلم أن الاستغفار فرض على كل مسلم .. أمر الله به نبيَّه (رضي الله عنه) ، وأمر به عباده في القرآن الكريم في أكثر من موضع ..



---

(1) رواه البخاري كتاب الدعوات . (2) الدنس : الأوساخ .

(3) رواه مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة .

قول الله تعالى

﴿ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ ١٤٧

سورة النساء

- سُبْحَانَ الْحَنَّان الْمَنَّان الذي لم يطلب من العبد سوى أمرين .. ألا وهما : الشكر ، والإيمان .. فَمَنْ شَكَرَ الله على نِعَمِه بأن أَقَرَّ ، واعْتَرَفَ بِهَا .. ثم أدَّى حقَّها واستخدمها فيما خُلِقَتْ له ، وآمَنَ بالله عز وجل وملائكته وكُتُبِه ورُسُلِهِ واليوم الآخر نَجَا مِنَ العِتَابِ والعَذَابِ .. وهو وَعْد مِمَّن لا يُخْلِف الميعاد ..
- والغريب أن الهادي للإيمان هو الله ، والْمُنْعِم على العبد بتوفيقه للشكر هو الله ، ورحم الله القائلة [1] : (شُكرُنَا يَحتَاجُ إلى شُكرٍ) ..
- والتأمل في هذه الآية الكريمة يُشعر الإنسان بسعة رحمة الله وعظيم امتنانه ، وفيض حنانه .. وكأنه يزيل خوف الخائفين ، ويبث الطمأنينة فى قلوبِهِم ، فيُقْبِلُون عليه بالْحُبِّ والرغبة في رضاه ..
- والإقرار بنعمة الله لا يُكلِّف الإنسان شيئًا .. وكلمة (الحمد لله) لا تُرهق قائلها ولا تُمْرِضه ، والإحساس بفضل الله وإنعامه لا يقلل من قيمة النعمة بل يرفع قدرها ويحفظها .. ومع ذلك فهي من أسباب النجاة من العذاب .. وقد ورد عن النبي (ﷺ) أنه قال : **كَلِمَتَان خَفِيفَتَان عَلَى اللِّسَان ، ثَقِيلَتَان فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : (سُبْحَانَ اللَّه وَبِحَمْدِه ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ)**[2] .. فسبحان مَنْ هو أرحم بِعَبْده من الأُمِّ بولدها ..

---

[1] رابعة العدوية .

[2] رواه البخارى كتاب الأيمان والنذور .

قول الله تعالى

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ١٤٨﴾

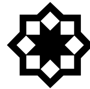
سورة النساء

- قال العلماء : إن الاستثناء فى الآية استثناء منفصل .. بمعنى (لكن) أي : لكن من ظُلِمَ يُسمح له أن يَجهر بالسوء في أحوال خاصة ..
- كشكايته للقاضي أو الحاكم بقوله : ظلمني ، شتمني ، أكل مالي ، أخذ حقي .. فهو نوع من أنواع الغيبة المباحة ، أو المعفو عنها .. أما أن يتكلم بالسوء فى حق ظالمه بين الناس فذلك غير مُبَاح على الإطلاق ..
- من هنا يتساءل المرء : هل ما يُنشر فى الصحف والمجلات من أخبار ، أو مقالات ، أو حوادث يُذكر فيها الأشخاص بأسمائهم مما يسيء إليهم أو يسوؤهم يعتبر جهرًا بالسوء ؟!! خاصة وأن ناشر الخبر لم يقع عليه ظلم ممن نشر عنه الخبر ! وأن النشر لجمهور الناس ، وليس لقاض أو حاكم .. كما أن النشر قد يؤثِّر على سير التحقيق ، أو قرار القاضي !!
- كيف يكون الحال لو كان ما نُشِر لم يَقَع ، أو لم يحدث بالصورة التي تم نشر الخبر بِهَا ؟! وهل يَصِحّ أن تكون حياة الناس الخاصة مجالاً لإنتاج الأفلام والمسرحيات كما نرى في بعضها سواء بالتصريح أو بالتعريض ؟!
- هل يمكن أن تخلو الصحف من نشر أخبار الحوادث ، والسرقات ، وقضايا الرشوة والفساد ؟ وكيف تكون العبرة والعظة ؟!
- أيمكن نشر الحوادث من دون ذكر أسماء أصحابِهَا ، وذكر الجرائم من دون

ذكر مرتكبيها ؟ وهل هناك فائدة من النشر فى هذه الحالة .. أم إن الأصوب الانتظار حتى تصدر الأحكام النهائية ثم يباح النشر بعد ذلك ؟!

- حين سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : **مَا الْغِيبَةُ ؟** .. قَالَ : (**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**) .. قيل : **أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ ؟** .. قَالَ : (**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ**)[1] .. فهل ينطبق هذا على ما يُنْشر في الصحف والمجلات ؟!!
- لوحظ أن الأسماءِ تُنْشر فى بعض الحوادث ولا تُنْشر فى غيرها طبقًا لوضع مرتكب الحادثة الاجتماعي فيقال مثلا : تم ضبط رجل أعمال يفعل كذا .. بينما تنشر صور وأسماءِ الآخرين .. مما يُعْتبر ظلمًا صارخًا وتفرقة بين الناس ..
- في نشر بعض الحوادث إثارة للغرائز ، وفي نشر بعضها الآخر تعليم أو توجيه لِمَنْ يريد ارتكاب الفعل نفسه ..
- قد علمنا من نبينا (ﷺ) أن ما يكب الناس على وجوههم في النار هو حصائد ألسنتهم .. ولا شك أن ما ينطبق على الكلام المنطوق ينطبق على الكلام المكتوب .. فهل فكَّر ناشرو الحوادث في ذلك ؟!

سبحان الله .. كم من خطايا يقع فيها المرء دون أن يدري !!



(1) رواه الترمذى كتاب البر والصلة .

قول الله تعالى

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَـٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾ ١٧٤

سورة النساء

- من المعلوم أن النور الذي أنزله الله وجاء ذكره فى الآية هو « القرآن » .. أما البُرْهان الذي جاء الناسَ فهو الرسول (ﷺ) .. وكلمة « بُرْهَان » في أبسط معانيها تعني : الدليل الواضح الذي لا شك فيه ..
- وكأن الرسول (ﷺ) هو نفسه دليل على صدق ما جاء به .. وذاته الشريفة هي آية من آيات الله ، ومعجزة من معجزاته يَدُلّ بِهَا على صدق رُسُله وأنبيائه ..
- ولقد جرت سُنَّة الله عز وجل على تأييد أنبيائه ورسله بمعجزات خارجة عنهم لتكون برهانًا على صدقهم مثل : ناقة « صالح » (الطَّيْكِلاَ) ، وعصا « موسى » (الطَّيْكِلاَ) ، وقدرة « عيسى » (الطَّيْكِلاَ) على إحياء الموتى .. إلخ ، أما الرسول (ﷺ) فهو البرهان ، وهو الآية ، وهو المعجزة بمقتضى الآية الكريمة ..
- ومما يدعو إلى التأمل أن الأُمِّيَّة تعد نقصًا في حق أي إنسان ، فمعرفة القراءة والكتابة من الأساسيات التي يجب أن يتحلَّى بِهَا الإنسان .. ومع ذلك فقد كانت في حق الرسول (ﷺ) موضع ثناء من الله عليه تكرَّر في أكثر من موضع في القرآن ، واعتبرت آية من آيات صدقه على أن القرآن من عند الله .. فما كان لهذا الأُمِّيِّ أن يأتي بِهَذا الكلام المعجز من عند نفسه ..

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى مَنْ سُلُوكُهُ بِأَمْرِكَ مَسْنُون .. وَأَجْرُهُ عِنْدَكَ غَيْرُ مَمْنُون .. وَطَرِيقُ الْجَنَّةِ باتِّبَاعِهِ مَضْمُون .. وَعَلَى الصَّحْبِ وَالآلِ ، وَمَنْ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُمْ عَلَيْهِ يُصَلُّون ..

قول الله تعالى

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

سورة المائدة

- يُلاحَظ في الآية أن من ضِمن العقوبات على نقض الميثاق مع الله بالإضافة إلى اللعن وتقسية القلب : (النسيان) .. ولقد حفظنا من الصغر نصيحة الشيوخ لنا بقولهم : آفَةُ العِلْم التَّرْكُ ، ودَوَامُ العِلْم مُذَاكرته ، وهذه إضافة خطيرة إلى أسباب النسيان ألا وهي العصيان ، فإن من علامات نقض الميثاق ترك ما أمر الله به ، وارتكاب ما نَهَى الله عنه .. ورحم اللهُ الإمامَ « الشافعي » إذ يقول :

شَكَوْتُ إلى وَكِيع سُوءَ حِفْظِي ... فأَرْشَدَنِي إلى تَرْكِ الْمَعَاصِي
وأخْبَرَنِــي بِأَنَّ العِلْــمَ نُــورٌ ... ونُــورُ الله لا يُهْدَى لِعَاصِي

و« وكيع » هذا هو شيخ الإمام « الشافعي » الذي حفَّظَه القرآن ..

- هذا .. وقد يبقى العلم ويذهب الانتفاع به ، أو العمل به فيصبح حامِلُه كالحمار الذي يحمل كُتُبًا ، ولا يَنْتَفع بهَا .. لذا كانت طاعة الله عز وجل سَبَبًا لحفظ العقل ، وانتفاع الإنسان بعِلْمه .. وقد قال بعض العلماء : إن الطائع لا يذهب عقله ، ولا يُصاب بالْخَرف مهما كبرت سِنُّه ..

نسأل الله أن يحفظ علينا عقولنا ويجعلها الوارث منا ..

قول الله تعالى

وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ
يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾
لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ
أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ
أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ
أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي
ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ
مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

سورة المائدة

بالتأمل في هذه الآيات تثور تساؤلات منها :

- لماذا لم يدافع « هابيل » عن نفسه ؟ هل كان ذلك ممنوعًا في شريعتهم كما قال بعض العلماء ؟ إذًا فمن نعم الله علينا أن أباح لنا في شريعتنا السمحاء الدفاع عن النَّفْس والعِرْض والمال ..
- فوجِئَ « قابيل » بعد قتل أخيه أنه لم يعمل حسابًا لِجُثَّته ، وهكذا كل مَنْ يقدم على عمل دون النظر إلى عواقبه ..
- أرسل الله غُرَابًا يحفر الأرض لدفن غراب ميت – وهي عادة سارية بين هذا النوع من الطيور – فتعلَّم منه « قابيل » كيف يدفن أخاه !! أفَنَفْهم من ذلك

أنه لم يمت أحد من قبل هذه الجريمة ؟! أم إن الدفن لم يكن معلومًا لديهم ؟! وإن كان الأمر كذلك فكيف كانوا يتصرَّفون مع جُثَث موتاهم ؟!!

- كَتَبَ الله على « بني إسرائيل » أنه مَنْ قَتَل نَفْسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا .. أفكان ذلك بسبب انتشار القتل ظُلْمًا بينهم ؟!! أم كان ذلك لأن القتل بغير حق هو من أفظع الجرائم على الإطلاق ؟!!
- دفن القاتل أخاه بدمائه فلم يُغَسِّلْه ، و لم يُكَفِّنه لأن ذلك لم يكن معلومًا له .. وطبعًا لم يقدح ذلك في منـــزلة القتيل عند الله ..
- من الغريب أن النبي (ﷺ) عَدَّ الغراب من الفواسق الخمسة [1] التي يَحِلّ قتلُها في الْحِلِّ والحرم .. فلماذا كان هذا الفاسق هو الْمُعَلِّم « لقابيل » كيف يُوَارِي سَوْءَة أخيه ؟!
- تلك كانت أول جريمة تُرتكب في الأرض ، وكان سببها الْحَسَد ، وما من مقتول يُقْتَل ظُلْمًا إلى أن تقوم الساعة إلا كان على « قابيل » جزء من الإثم والوِزْر فيها ، إذ يقول النبي (ﷺ) : (**لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلاَّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا ، لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ**)[2] ..
- لم يُوَفَّق « قابيل » للتوبة وأصبح من الخاسرين ، وصدق رسول الله (ﷺ) إذ قال : (**أَبَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لِقَاتِلِ الْمُؤْمِنِ تَوْبَةً**)[3].. وإذ قال : (**لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**)[4] ..

---

[1] الفواسق الخمسة : الحية ، والعقرب ، والحدأة ، والغراب ، والكلب العقور .
[2] رواه البخارى كتاب أحاديث الأنبياء . [3] ذكره السيوطى فى جامع الأحاديث .
[4] رواه البخارى كتاب الديات .

قول الله تعالى

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

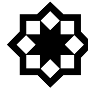
سورة المائدة

- تفيد الآية تحريم « صيد البَرِّ » لِمَنْ أحْرَمَ ولو كان في الْحِلِّ ، ولِمَنْ كان في الأرض الحرام ، ولو تحلَّل من إحْرَامه سواءٌ صاده بنفسه أو صِيد له .. وتفيد إباحة « صيد البَحْر » للمُحْرِم سواءٌ صاده بنفسه أو صِيد له ، أو ألقاه البحر على الشاطئ .. والأمر يدعو إلى التأمل ..
- هناك محرَّمات ذُكِرَت عِلَّةُ تحريمها .. والمعلول يدور مع عِلَّته وجودًا وعَدَمًا .. فمثلاً عِلَّة تحريم الخمر الإسْكار ، وبالتالي فكل مُسْكِر حرام .. أما إذا لم يكن الشراب مُسْكِرًا فهو مباح .. وهناك محرَّمات لم تُذْكَر عِلَّة تحريمها كصيد البر ما دام الإنسان مُحْرِمًا أو كان في الأرض الحرام .. وكذلك الرِّبَا فإنه لم يَرِد في القرآن أو الحديث عِلَّة لتحريمه .. وبالتالي فمحاولة البحث عن عِلَّة التحريم فيما لم يُذكر لتحريمه عِلَّة محاولة فاشلة تُؤَدِّي بصاحبها إلى الوقوع في براثن الهوى والغرض وتعدِّي حُدُود الله .. والله تبارك وتعالى أعلم بِمُرَاده وحِكْمته في أوامره ونواهيه ، وعلى المسلم أن يخضع لها مُسَلِّمًا بأنَّها لصالحه ومنفعته في دنياه وأُخراه ، وأن الأوامر والنواهي قد صَدَرت مِمَّن تجب طاعته .. من دون مناقشة أو تردُّد ..
- قيل : إن معرفة الله لا تجب بالعَقْل ، وإنما تجب بالشرع والنقل .. وعليه

فإن إعمال العقل في أسباب الأوامر والنواهي إعمال له فيما لا يجب أن يعمل فيه .. والشرائع وإن اتفقت كلها في أساس العقيدة إلا أنَّها اختلفت في التفاصيل والكيفيات تبعًا لظروف الزمان .. وما هي إلا أمور تعبَّد الله بِهَا خَلْقَه لِيَميزَ الطائع من العاصي ..

هذا .. وقد أثنى الله تبارك وتعالى على المؤمنين الذين يتلقَّون أوامر الله عز وجل بقولهم : (سَمِعْنَا وأطَعْنَا) ..

نسأل الله أن نكون منهم ..



قول الله تعالى

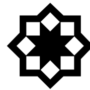
إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾

سورة المائدة

- الآية تُشعر بأسلوب الحساب في الآخرة .. فهو يبدأ بتعديد النِّعَم وتذكير العبد بِهَا ثم ينتقل إلى السؤال عن استخدامه لهذه النِّعَم ، وهل قام بحقِّها ؟!
- من الملاحظ أن من بين الأسئلة سؤال عن أمور حدثت بعد مُفَارقة السيد المسيح لقومه .. أفكان ذلك للاستشهاد به عليهم - فكل رسول شهيد على قومه يوم القيامة - أم هي إشارة إلى أن الإنسان قد يُسْأَل عما خَلَّفه وراءه من أفكار ومعتقدات تأثَّر بِهَا الناس وعملوا بِهَا ؟!
- وعليه فإن العبد ليس مسئولاً فقط عن أقواله وأعماله فترة حياته .. بل قد يُسْأَل عما تركه من أَثَرٍ في نفوس الآخرين سواء من أولاده أو من غيرهم ممن عاشرهم أو احتكَّ بِهِم أو تعامل معهم فترة حياته ، وما خَلَّفوه هم كذلك وراءهم .. وهكذا إلى يوم القيامة !!

- وبالتالي فإن مسئولية قادة الفِكْر والمثقَّفين تختلف عن مسئولية العامة .. وكل مَنْ أُتِيحَت له الفرصة ليكون من أصحاب القَلَم ، أو من أصحاب الصوت المسموع ، أو من القائمين على النَّشْر ، والبَثّ الإذاعي المسموع والمرئي لابد أن يعلم مسئوليته التي قد يغفل عنها ، أو يُلهيه الْهَوَى والغَرَض وحب الاشتهار بين الناس عن الأَثَر الذي يخلفه وراءه ، والذي هو مسئول عن نتائجه حتمًا يوم القيامة حيث لا شفيع ، ولا صديق حميم ..
- من هنا نعلم خطورة التوجيه النبوي للكافة بأن الكُلّ راع والكُلّ مسئول عن رعيَّته ، وأن المسئولية ليست مسئولية القيادة ، أو السياسة ، أو الرعاية ، أو التوجيه فقط .. وإنما المسئولية مسئولية ما يُترك من أثر ولو بعد أزمنة وقرون ..
- لذا قال (ﷺ) : (**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ .. وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا ، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**)[1] ..

الأمر جد خطير يحتاج إلى مراجعة للنفس ..
فالدنيا إلى زوال .. ودوام الحال من المحال ..



(1) رواه مسلم كتاب الزكاة .

قول الله تعالى

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾

سورة الأنعام

- يا لرحمة الله عز وجل !! .. ويا لعظيم كرمه وفضله !! ..
- تأمَّل أيها القارئ الكريم فى كيفية الحساب .. إن مقتضى ذلك أن مَنْ عمل عشر حسنات ومائة سيئة أصبح محتاجًا إلى حسنة واحدة تدخله الجنة !! فالعشر حسنات مضروبة فى عشرة تصبح مائة ، والمائة سيئة هي نفسها ، لأن السيئة بمثلها ، وبذلك تتساوى الحسنات والسيئات فلا يحتاج الإنسان إلا إلى حَسَنةٍ أو جزءٍ من حَسَنة لدخول الجنة .. فإن مَنْ زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة بفضل الله وبرحمته ..
- وهذا الأسلوب في الحساب هو بافتراض أن السيئات باقية كما هي لم تُمْح .. ولم يستغفِر عنها مرتكبُها .. فكيف إذا كانت تُمْحَى بالاستغفار والتوبة ؟! فالتائب من الذنب كمَنْ لا ذنب له .. وكذلك تُمْحَى بالحسنات ، فإن الحسنات يُذهِبن السيئات .. كما أن اتباع السيئة بحسنة يمحوها .. ومن الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ، ومن الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما ، ومن رمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما ، والحج والعمرة ينفيان الذنوب كما تَنْفِي النارُ خبثَ الحديد ، والصدقة تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ كما يُطفئُ الماء نارَ الحطب .. هذا .. واجتناب الكبائر أصلاً يُؤَدِّي إلى تَكْفِير الصغائر ..

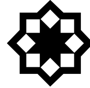
- وعليه فإن الآية الكريمة تُشْعِر المسلم بأن الله عز وجل يحاسبه بالرحمة لا بالعدل ..
- والأعجب من كل ذلك أن السيئات تتحوَّل إلى حسنات لِمَنْ تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا ..
- فهل لنا أن نسارع إلى التوبة والإنابة والإكثار من الحسنات فالباب لا يزال مفتوحًا ، ومجال الحسنات أوسع مِمَّا يُتصَوَّر ، إذ يقول رسول الله (ﷺ) : (**كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْه صَدَقَةٌ** [١] **كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيه الشَّمْسُ ، يَعْدلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّته فَيَحْملُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، وَالْكَلمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَة صَدَقَةٌ ، وَيُميطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**)[٢] .. ويقول (ﷺ) : (**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْه أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ .. وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوف وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ .. وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلاَل لَكَ صَدَقَةٌ .. وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ .. وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ .. وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**)[٣].. ويقول (ﷺ) : (**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّه إِلاَّ أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ**)[٤].. ويقول (ﷺ) : (**بَيْنَا**

---

[١] أي على كل مُسْلِم مُكَلَّف بعدد كل مَفْصِل من عظامه صدقة لله تعالى ..
[٢] رواه البخارى كتاب الجهاد والسير .
[٣] رواه الترمذى كتاب البر والصلة .
[٤] رواه البخارى كتاب الإيمان .

رَجُلٌ بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى [1] **مِنَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي ، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ، فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ)** .. قَالُوا : **يَا رَسُولَ اللَّه ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لأَجْرًا ؟** .. فَقَالَ : (**فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ** [2] **أَجْرٌ**)[3] ..

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ .. وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ ..
وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ .. وَالسَّلاَمَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ .. والعِصْمَةَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ ..



---

[1] الثرى : التراب الرطب .
[2] أي كل ما له روح .
[3] رواه البخارى كتاب المظالِم والغصب .

قول الله تعالى

وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾

وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾

سورة الأعراف

بالتأمل فى هذه الآيات نلاحظ ما يلي :

- موقف السَّحَرة الذين كانوا في أول النهار عونًا « لفرعون » على « موسى » (عليه السلام) ثم أصبحوا فى آخره من الشهداء الذين يُحْتَذَى بِهِم ..
- اشتراط السَّحَرة على « فرعون » الأجر مقابل انتصارهم على « موسى » (عليه السلام) على رغم بطش « فرعون » وتألُّهه وجبروته .. واستجابة « فرعون » لشروطهم بل وزاد عليها وَعْده لهم بأن يكونوا من المقَرَّبين ..
- تمسُّك الباطل بموقفه ، ووجود مَنْ يسانده – على رغم وضوح الحق – للحصول على المنافع الدنيوية الزَّائلَة ..
- وقوع ما لا يخطر ببال لنفاذ إرادة الله عز وجل حين كانت المفاجأة التي أذهلت « فرعون » وهي سجود السَّحَرة وخضوعهم « لموسى » (عليه السلام) أمام الْحَشْد العظيم من الناس الذين تم جمعهم لتأييد « فرعون » فانقلب الأمر عليه ..
- تمرُّد « فرعون » واستكباره وطغيانه بعد سطوع الحق بسجود السحرة إذ قرَّر عقابَهم بسبب إيمانِهِم من دون إذن منه .. وكأن الإيمان بالله يحتاج إلى

استئذان من الحاكم !! ..

- الاتِّهام المعهود في كل العصور الذي يوجهه الحاكم المستبد لكل مَنْ يعارضه .. ألا وهو محاولة قلب نظام الحكم والاستيلاء على السلطة ..
- التَّنْكِيل بالمتَّهَمِين بأسلوب وحشي - الصَّلْب وتقطيع الأيدي والأَرْجُل — لجعلهم عِبْرة لكل مَنْ تحدثه نفسه بالسير على دَرْبِهِم .. بل وتجاوُز التنكيل إلى عائلات المتَّهَمِين من نساء وأطفال ..
- إحساس الحاشية المنتفعين بقربِهِم من الحاكم بالخطر الذي يهدِّد مصالحهم ، وتحريضهم « لفرعون » بإيهامه بأن مُلْكه مهدَّد بالزَّوَال على أيدي « موسى » (عليه السلام) وأتْبَاعه ، واتِّهامهم لهم بالفساد والإفساد ..
- ما من رَجُل يُسْتَخْلَف إلاَّ وتكون له حاشية وأتْبَاع وخُلَصَاء .. منهم مَنْ يُزيِّن له الباطل ويمتدحه بما ليس فيه ، ومنهم مَنْ يقول له الحق ولا يداريه .. والمعصوم مَنْ عصمه الله لصلاح نِيَّته وقيامه بالواجب الذي يقتضيه منصبه الذي وضعه الله فيه ..
- كان من حاشية « فرعون » رَجُل صالح قال له كلمة الحق ونَهَاه عن إيذاء « موسى » (عليه السلام) ، وحذَّره من عاقبة مَنْ سبقه من القرون فلم يستمع له « فرعون » واستمع لحاشية الباطل فأوردته موارد التهلكة ..
- عاقبة « فرعون » وقومه تدعو كل حاكم في الأرض لاختيار مستشاريه ومعاونيه وبطانته من العقلاء والحكماء والمخلصين الذين يواجهونه بالحقائق ، ولا يُزَيِّنون له الباطل إرضاءً لغُرُوره واكتسابًا للمنافع الخاصة ..

اللهم أرنا الحق حقًّا ، وارزقنا اتباعه .. وأرنا الباطل باطلاً ، وارزقنا اجتنابه ..

قول الله تعالى

وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

سورة الأعراف

بالنظر في هذه الآية تثور التساؤلات الآتية :

- كيف يطلب « موسى » (عليه السلام) هذا الطلب المستحيل ؟ .. ألم يكن يعلم أن رُؤْيَة الله عز وجل في الدنيا لا تجوز إذ لا يمكن للفاني أن يرى الباقي ؟!
- كان من رحمة الله « بموسى » (عليه السلام) أنه لم يعاقبه على هذا الطلب ، ولم يعاتبه ، بل أثبت له استحالة الرُّؤية بِدَكِّ الْجَبَل عندما تجلّى سبحانه وتعالى له .. مع أن الطلب نفسه من بني إسرائيل كان محل لوم وعتاب وعقوبة بالصَّعْق ..
- هل كان اختلاف الدافع إلى السؤال أساس اختلاف المعاملة ؟! فقد كان دافع بني إسرائيل إلى طلب الرؤية شَكُّهُم في « موسى » (عليه السلام) ، واجتراؤهم عليه باشتراطهم رُؤْية الله حتى يؤمنوا به ، وكان دافعَ « موسى » (عليه السلام) هو الْحُبُّ الشديد لله ، والشوقُ الذي أوجده في قَلْبه استماع كلام مَن ليس كمثله شيء !
- من ذلك يتَّضح لنا أن الأدب مع الله يقتضي الرِّضَا بما قَسَمه وعدم التطلُّع إلى ما لا يَصِحّ ، أو ما لا يجُوز ، أو ما لا يُباح .. وأن تكون النِّيَّة في الطلب والسؤال هي ما يُبَاح للمسلم شرعًا سواء أكان الأمر دُنْيَوِيًّا أم كان أُخْرَوِيًّا ..

قول الله تعالى

﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨ ﴾

سورة الأعراف

يقول المفسرون إن بني إسرائيل عندما عزموا على الخروج من « مصر » هربًا من ظُلم « فرعون » احتالوا على القبط من أهل « مصر » فاستعاروا منهم حُلِيَّهم بدعوى التزيُّن بِهَا في أفراحهم ثم فرُّوا بِهَا ..

ومن المعلوم أن « السَّامِرِيّ » جمعها منهم في فترة غياب « موسى » (عليه السلام) في الطور لتلقِّي التوراة ، وصنع لهم منها عِجْلاً ذَهَبِيًّا فاتخذوه إِلَهًا حتى رجع إليهم « موسى » (عليه السلام) بعد أربعين ليلة غضبان أسِفًا ، فعنَّفهم وأخذ العِجْل فحَرَّقه أمامهم ثم ذَرَّه في البحر ..

وبالتأمل في هذه القصة تثور في النفس بعض التساؤلات :

- هل كان الاحتيال على جيرانِهِم من القبط والاستيلاء على حُلِيّهم مُبَاحًا لهم ؟!
- أكان غرضهم من هذا الاستيلاء إدخال الطمأنينة على قلوب قوم « فرعون » حتى لا يشعروا بعَزْمهم على الخروج فيمنعوهم ؟ أم كان الغرض منه أن يكون تعويضًا عما تركوه خلفهم من أموال وديار ؟!
- مما لا شك فيه أنَّهم كانوا محتاجين إلى المال بعد خروجهم من « مصر » تاركين وراءهم ديارهم وممتلكاتهم ..
- أكان حرمانهم من هذا الذهب بحرق العِجْل وتذريته في البحر عقوبة لهم على استحلالهم لأموال جيرانِهِم وأخذها بدون حق ؟ أم كان بسبب

عبادتِهِم له ؟ أم كان لإثبات أن هذا المعبود المصطنع لا يَمْلِك دفع الضر عن نفسه فضلاً عن أن يمنع عنهم ضرًّا أو يجلب لهم نفعًا ؟!!

- أكان إتلاف المال مُبَاحًا في شريعتهم إذا كان الحصول عليه قد تم بطريق غير شرعي ؟!.. أم كان حصولهم على الذهب بتلك الطريقة الاحتيالية مُبَاحًا لهم ؟!!
- لماذا لم يفكر « موسى » (عليه السلام) في رَدِّ المال إلى أصحابه ؟!
- كيف أقنعهم « السَّامِرِيّ » بعبادة العجل وقد رأوه يصنعه بيديه ، والمصنوع أقل رتبة من الصانع ؟!!
- هل كانت فِتْنَتهم التي سقطوا فيها بعبادة العِجْل بسبب حصولهم على المال بطريق غير شرعي ؟!
- من ذلك يتضح أن المال الحرام لا ينفع صاحبه في الدنيا ولا في الآخرة .. بل يُؤدِّي به إلى المهالك كما أدَّى بقوم « موسى » (عليه السلام) إلى الشِّرْك والعياذ بالله ، ويعمى صاحبه عن الحق فلا يستمع إلى النصح إذ نصح « هارون » (عليه السلام) قومه وبيَّن لهم ضلال ما هم فيه فلم يجد منهم أُذُنًا صاغية على رغم علمهم بأنه نبي الله ، وأن رسولهم « موسى » (عليه السلام) ذهب إلى الطُّور لتلقِّي التوراة ، وأنه عائد إليهم بعد حين ، وآثروا الاستماع إلى قول « السَّامِرِيّ » وهو لا يعدو كونَهُ رَجُلاً عاديًّا من رجالهم ..

اللهم اكْفِنَا بحَلالِكَ عن حَرَامِك .. وأَغْنِنَا بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ .. وقِنَا شَرَّ الْفِتَنِ ، ما ظَهَرَ منها وما بَطَن ..

قول الله تعالى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾

سورة الأنفال

- الاستجابة لله وللرسول هي طاعة الأوامر واجتناب النواهي ، وتختلف من شخص إلى آخر بحسب مدى الالتزام بالشرع والعِلْم بالحلال والحرام ، والمباح والمحظور .. لذا كان على المسلم أن يسعى لطلب العلم بشتَّى الوسائل إذ إن الجهل بالشريعة لا يعفي من المسئولية .. فالقرآن وتفاسيره بين أيدينا ، والسُّنَّة المطهرة مجموعة ومُحقَّقة ومُدَوَّنة بمعرفة العلماء الأجلاَّء الذين أفنوا أعمارهم في شرح ما غمض منها .. والدعاة في كل مكان يبذلون جهدهم لتحذير الناس من الانسياق وراء شهواتِهم ، وزخارف الدنيا الزائلة ..
- التحذير الموجود في الآيات خطير .. جد خطير .. فالحيلولة بين المرء وقلبه معناها : أن يفقد الإنسان مستشاره الصادق الأمين ، ويُصبح بلا قلب فتقسو نفسه ، ويستولي عليه شيطانه ، ويقوده الهوى إلى الضلال المبين فيتفرَّق شمله ، ويُصاب بالأمراض النفسية المختلفة : كالاكتئاب ، والفصام ، والوسواس القهري ، وما إلى ذلك من أمراض يصعب علاجها ، ويفتقد

الطمأنينة وهدوء النفس ..

- هذا في شأن مَنْ أَبَى الاستجابة لله ولرسوله ، فما بال الفِتْنة التي لا تصيب الذين ظلموا خاصة بل تصيب الكافة ؟! وما جريرة الطائعين حتى يشتركوا مع العاصين في التعرُّض للفتنة ؟!
- هل كان من الواجب عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ نعم كان يجب عليهم ذلك .. فإذا امتنعوا عن هذا الواجب كثر الْخَبَث .. وإذا كثر الْخَبَث أصاب العذاب الجميع : الطائع فيهم ، والعاصي ..
- لقد أصابت اللعنة بني إسرائيل لأنَّهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه .. وقد رُوِيَ عن السيدة « زَيْنَبَ بِنْت جَحْشٍ » أم المؤمنين (رضي الله عنها) أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ : (**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ .. وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**) وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا .. قَالَتْ : فَقُلْتُ : **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ** ؟ .. قَالَ : (**نَعَمْ ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**)[1] ..
- إذًا فسبيل النجاة من الفتنة ومن العذاب العام الذي ينـــزل بالأمم هو النَّهْي عن المنكر .. وقد قال العلماء : **إنه لا يُشترط لِمَنْ ينهى عن المنكر أن يكون مُجْتَنِبًا له ..**

فاتَّقِ الله في نفسك أيها المسلم ، ولا تسكت عن مُنْكَرٍ تراه ..
ولو لم يُستجب لك ، فهو عُذْرُك عند الله ..

---

[1] رواه البخارى كتاب أحاديث الأنبياء .

قول الله تعالى

﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ ﴿٩٦﴾

سورة التوبة

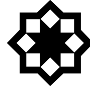
لقد نزلت هذه الآية لتفضح المنافقين الذين تخلَّفوا عن الخروج مع رسول الله (ﷺ) إلى غزوة « تَبُوك » ، واعتذروا بشتَّى المعاذير وحلفوا كذبًا على صدقهم لإرضاء الرسول (ﷺ) وأصحابه .. فأخبر الله أنه لا يرضى عنهم حتى لو رضي عنهم الرسول (ﷺ) وأصحابه ..

بالتأَمُّل فى هذه الآية نجد أن :

- رِضَا الله عز وجل لا علاقة له برضا الناس لأن الله يعلم ما انطوت عليه النفوس والناس لا يعلمون ..
- على الإنسان أن يضع نصب عينيه رضا الله عز وجل في كل أقواله وأعماله بغض النظر عن وقعها عند الناس ..
- من أرضى الله في سخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن أسخط الله فى رضا الناس سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ..
- رضاء الخلق من الأمور التى لا تُدْرَك ، ولو كانت تُدْرَك لكان أَوْلَى الناس بإدراكها الرُّسُل والأنبياء ، فإن من أقوامِهم مَنْ آمن ، ومنهم مَنْ كفر ..
- مَنْ رضي عنه كل الناس كان مُنافقًا ، ومَنْ سخط عليه كل الناس كان فاجرًا ..

- رضاء الله سهل يسير يُدرك بالرضا عنه .. بمعنى أن ترضى بقضائه وقَدَره ، وأن ترضى بحكمه ، وأن ترضى به رَبًّا فتأتمر بأمره وتنتهي بنهيه .. وكل ذلك يُؤَدِّي بك إلى سعادة الدارين ..
- رضا الناس لا يتحقَّق إلا باتباع أهوائهم ، والعمل على إشباع رغباتِهِم ، ومع ذلك فإن أرضيت بعضهم أسخطت البعض الآخر .. كما أن من رضي عنك قد لا يرضى عنك كل الوقت ، بالإضافة إلى أن رضاهم لا يُقَدِّم ولا يؤَخِّر فإن ما أصابك لم يكن ليُخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليُصيبك .. والأدهى من كل ذلك أن يتبرَّأ منك يوم القيامة مَنْ أرضيته في سخط الله ، ويلومك على فِعْلك ..
- محاولة إرضاء الناس بما يُغضب الله عز وجل هلاك ولا يصل بصاحبه إلى ما يبتغيه .. لكن حب الناس ونصحهم ، وعدم موافقتهم على أهوائهم بأسلوب رقيق لَبِق ، وبما لا يُشعرهم بالإهانة قد يؤدي إلى الخير الكثير ..

اللهم إنا نَسْأَلُكَ رِضَاك والْجَنَّة ..
ونَعُوذُ بِكَ من سخطِكَ والنَّار ..



قول الله تعالى

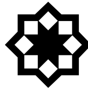
﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾

سورة يُونُس

- من اللافت للنظر دعاء قوم « موسى » (عليه السلام) بعد إقرارهم بالتوكل على الله ألا يكونوا فِتْنة للقوم الظالمين ..
- أكان سبب هذا الدعاء هو خوف قوم « موسى » (عليه السلام) من عدم صبرهم على ظُلْمِ « فرعون » وقومه فيفتنون عن دينهم ؟ أم كان إشفاقًا على أنفسهم من التعرّض للبلاء ؟
- هل معنى ذلك أنه من الممكن أن يكون العبد الصالح فتنة للظالِم ؟! أي : يكون امتحانًا له وسببًا لدخوله النار بما يصنعه معه ، وبه ؟!
- لقد عُذِّب المؤمنون بأيدي الكفار على مَرِّ العصور فهل قدر الله ذلك وسمح به ليزيد الكافرين عذابًا فوق عذابِهِم جزاء ما فعلوه بالمؤمنين ؟!
- هل يقضي الله على العبد الصالِح أن يُؤْذَى في الدنيا على يَدِ الظلمة ، ثم يرزقه الصبر على ما أصابه في الله فيدخله الجنة جزاء صبره ؟!
- من العباد من يُبتلى بالخير ويُلْهَم الشكر فيدخل الجنة بجزاء الشاكرين ، ومنهم من يُبْتلى بالشر ، ويُرْزَق الصبر فيدخل الجنة بجزاء الصابرين ، ومنهم من يُبْتلى بالأمرين معًا ، والأمر يتوقَّف على استعداد العبد الذي لا يعلمه إلا الله ..

- هل يَصِحُّ أن يدعو الإنسان بِهَذا الدعاء ولو لم يتعرَّض للأذى أو يتوقَّع تعرّضه له ؟!
- قد يُبتلى المرء بالخير ولا يشكر ، ولو ابتلى بالشر لصبر فكان خيرًا له ، وقد يُبْتلى العبد بالشر فلا يصبر ، ولو ابتلى بالخير لشكر فكان خيرًا له ، والأمر مرجعه إلى الحكيم الخبير ..
- المؤمن أمره كله خير .. إذا أصابته السَّرَّاء شَكَر فكان خيرًا له ، وإذا أصابته الضَّرَّاء صَبَر فكان خيرًا له .. ولا يكون ذلك إلا للمؤمن ..
- الصبر المطلوب حال الابتلاء هو الصبر الجميل الذى لا شكوى معه لأحد من المخلوقين ، مع الثقة بحكمة الله فيما قضاه وقدَّره ، أما الشكر المطلوب عند السراء فهو الإقرار بنعمة الله ، وأنَّها من فضله لا باستحقاق العبد ، ثم استخدام النعمة فيما خُلِقَت له ..

نسأل الله جَلَّتْ قدرته ألاَّ يجعلنا فِتْنَةً للقوم الظَّالِمِين ..
وأن يُنَجِّنا بِرَحْمَتِهِ من القوم الكافرين ..



قول الله تعالى

وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾

سورة هود

بالتأمل فى هذه الآية تثور التساؤلات الآتية :

- كيف يدعو « نُوح » (عليه السلام) ابنه لركوب السفينة وقد أمره الله أن يحمل فيها من آمن فقط ؟!
- ألم يكن يعلم أن ابنه كان كافرًا ؟!
- هل أنساه هول الموقف ما قيل له : (وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ)[1] ..
- هل تغلَّبت عليه عاطفة الأُبُوَّة وهو يرى ابنه مُعَرَّضًا للهلاك الأبدي ؟!
- ألا يشعرنا هذا بأن الكمال المطلق لله وحده ؟ وألا يساعدنا ذلك الموقف على تفهُّم ما يحدث يوم القيامة حيث يذهل كل نبي عن وعد الله له بالنجاة والتكريم فيقول : (نفسي ثم نفسي) إلا سيد الخلق (صلى الله عليه وسلم) إذ يقول : (**يَا رَبِّ أُمَّتِي .. يَا رَبِّ أُمَّتِي**)[2] ؟!!
- أليس ذلك من أشدِّ أنواع البلاء على الإطلاق أن يرى الأب ابْنَه يهلك هلاكَ الدنيا والآخرة ؟!!
- ألا يشبه موقف « نوح » (عليه السلام) موقف « لُوط » (عليه السلام) حين جاءته الملائكة على صورة البَشَرِ ، وجاءه قومه يريدون بِهِم الفاحشة فقال كما

---

[1] سورة المؤمنون آية ٢٧ .

[2] من حديث الشفاعة المشهور رواه البخارى .

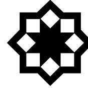
حكى القرآن عنه : (لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ)[1] ؟!..

- أَلَمْ يكن (عليه السلام) يأوي إلى ركن شديد .. ألا وهو ركن الله ؟ ..
- من أجل ذلك قال المصطفى (صلى الله عليه وسلم) : (**يَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**)[2] ..

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ نَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلاَ نَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ..

اللَّهُمَّ خِرْ لنا ، واخْتَرْ لنا ، واخْتَرْ لنا الْخَيْرَ كُلَّه ..

واقْدُرْ لنا الْخَيْرَ حَيْثُ كان ثُمَّ رَضِّنَا بِهِ ..



[1] سورة هود آية ٨٠ .

[2] رواه البخارى كتاب أحاديث الأنبياء .

قول الله تعالى

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَـٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾

سورة هود

- من الملاحظ أن الرُّسُل ومَنْ آمن معهم قد نجَّاهم الله برحمة منه كما تخبرنا الآيات .. وهم الذين بذلوا قصارى جهدهم في الدعوة إلى الله ، وصبروا على تكذيب قومهم وإيذائهم لهم .. ولم يقل الله : نَجَّيْنَاهم بأعْمَالِهِم ، بل قال في شأنِهِم جميعًا « هود – صالح – شعيب » (عليهم السلام) أن النجاة كانت بِرَحْمَةٍ مِنْهُ .. أليس ذلك ملفتًا للنظر ؟
- ألا يدعونا ذلك إلى عدم الاطمئنان لأعمالنا مهما عظمت ؟
- ألا نعجب من افتخار بعض الناس بأعمالهم الصالحة على رغم أن الله هو الذي وفَّقهم لها .. وأن العِبْرة بالقَبُول ، وأن النجاة من النار ودخول الجنة لا يكون إلا برحمة الله عز وجل ؟
- ألا نرى أن مقام « نوح » (عليه السلام) – وهو الأب الثاني للبشر – لم ينفع زوجه وابنه ، ولم يشفع لهما ؟ .. وأن مقام « لوط » (عليه السلام) لم ينفع زوجه ..
- ألا يثبت لنا كل ذلك أن الأنساب لا تنفع يوم الحساب ؟ فمَنْ أبطأ به عملُه لم يُسْرِع به نَسَبُه ..
- ألا نستشعر شِدَّة البلاء الذي أصاب الرسل في كُفْر أقرب الناس إليهم : الأب ، والابن ، والزوجة ..

سبحان الله – لله في خَلْقِهَ شئُون .. وما قُدِّر لابُدَّ أن يَكُون ..

قول الله تعالى

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾

سورة هود

- تُرى هل خلق الله الناس للاختلاف فمنهم مَنْ يؤمن ، ومنهم مَنْ يكفر ؟ أم خلقهم لرحمته ؟
- لقد اختلفت أقوال العلماء فمنهم مَنْ أَيَّد القول الأول ، ومنهم من اختار القول الثاني ، ومنهم مَنْ قال إن الله خلقهم للأمرين معًا : الاختلاف ، والرحمة .. والله تبارك وتعالى أعلم بِمُرَادِهِ ..
- وليس لنا إلا أن نرجوه أن نكون مِمَّن خلقهم برحمته ولرحمته .. ويحدونا الأمل في ذلك من استقرائنا لأول آية في القرآن حيث قدَّم الله نفْسَه لعباده بقوله : (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) ..
- ولقد علمنا أن رحمته جَلَّ وعَلاَ سبقت غضبه .. وأن الرحمة صِفَة أساسية من صفاته ، وأن الغضب صِفَة عارضة كما قال العلماء ..
- هذا .. والطمع في رحمته واجب على كل مسلم ، وحسن الظن بالله مطلوب ، وهو سبحانه وتعالى عند ظن عبده به ، فإن ظن به خيرًا فخير ..

اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فأنت علينا قادر ..

ولا تعاملنا بما نحن له أهل ، وعاملنا بما أنت له أهل ..

أنت أهل التقوى وأنت أهل المغفرة ..

قول الله تعالى

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سورة هود

- لقد خُتِمت سورة « هُود » بِهَذه الآية الفَذَّة الجامعة بعد ما قَصَّ الله علينا قصص الأنبياء مع أقوامهم ، وكيف كانت النجاة برحمته أساسًا لا بأعمالهم ..
- والتأمُّل في هذه الآية يعطينا إحساسًا خاصًّا بأن الأمر كله لله ، وأن الإنسان في هذه الدنيا لا يملك إلا إصلاح نِيَّتِه لتكون خالصة لوجه الله الكريم ، ولا منجى له إلا بالتفويض الكامل المطلق إلى الله ..
- فإذا كان لله غيب السماوات والأرض وإليه يُرجَع الأمر كله فأين الإنسان من ذلك ؟ وما هو دوره في هذه الحياة ؟
- لقد جاءت الإجابة غاية في الإيجاز والوضوح ، وببساطة شديدة ، وبلا تعقيد : (العبادة والتوكل) ..
- أين هذه الإجابة من فلسفة البشر التي تملأ مجلدات ومجلدات ؟! لقد تكفَّل الله بالخلق ، وبالرزق ، وبالتدبير ، وبالتصريف .. وخلق الإنسان لعبادته ولم يُكَلِّفْه ما لا يُطيق ، وأمره بإيكَال الأَمْر إليه والاعتماد عليه .. ولو أخلص الإنسان العبادة لله ، وفوَّض إليه أمره لاستراح ، وما حمل هَمًّا ، ولا أصابه غَمٌّ ، ولَعَلِمَ أن الأمور تجري بالمقادير .. فإن كل شيء خُلِقَ بِقَدَر ، وكل أمر جرى بقضاء ..

وسبحان مَنْ لا يَغْفُل ولا ينام ..

قول الله تعالى

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ
يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ
لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟
لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾

سورة يُوسُف

من عجائب هذه السورة أن الإنسان لا يَمَلُّ من تلاوتِهَا ، أو الاستماع إليها وتدبُّر ما احتوت عليه من عِظات وعِبَر ، بعكس القصص التي هي من تأليف البشر ، وصَدَقَ ربي جَلَّ وعَلاَ إذ يقول في أول السورة : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ) .. وإليك بعض التأملات في هذه السورة التي خالفت نَسَقَ القرآن في سرد القصص إذ جاءت قصة « يُوسُف » الصِّدِّيق كاملة فيها مترابطة الحلقات بعكس قصص الأنبياء التي جاءت متفرقة في سُوَر متعددة مع إضافات في كل موضع وتغيير في الأسلوب ..

- طَلَبُ « يعقوب » من « يُوسف » (عليهما السلام) ألا يَقُصَّ رؤياه على إخوته ، وتوقُّعه أن يكيدوا له كيدًا .. أمر عجيب ..
- تنبُّؤ « يعقوب » « ليوسف » (عليهما السلام) بالعلم والْحِكْمَة والنُّبُوَّة

بمجرَّد سماعه للرؤيا .. أمر لافِتٌ للنظر ..

- كيف تردَّد « يعقوب » (عليه السلام) في الموافقة على خروج « يوسف » (عليه السلام) للعب مع إخوته بدعوى خوفه عليه من الذِّئب ؟ أكان يشعر بما سوف يدَّعيه الإخوة من أكل الذئب « ليُوسف » (عليه السلام) ؟ أم أعطاهم ما يبررون به فعلتهم ؟!
- حين جاء الإخوة بقميص « يُوسُف » (عليه السلام) مُلَطَّخًا بالدماء جاءوا به سليمًا دون أن يفطنوا إلى استحالة افتراس الذئب « ليوسف » (عليه السلام) من دون أن يُمَزِّق قميصه !! فكيف غفلوا عن ذلك على رغم كثرتــهم واحتيالهم ؟! أكان ذلك من فضل الله حتى يطمئن « يعقُوب » (عليه السلام) على سلامة ابنه ؟!
- أكانت الدراهم المعدودة التي بِيع بِهَا « يُوسُف » (عليه السلام) قليلة في عُرْف ذلك الزمان كما قال البعض ؟ أم إن المقصود أن مال الدنيا كله لو دُفِعَ ثمنًا « ليوسف » (عليه السلام) لكان قليلاً لا يفي بقدره وقيمته ؟
- مَنِ الذين كانوا فيه مِنَ الزاهدين أهم : إخوته ، فتخلصوا منه سريعًا ، أم الذين اشتروه وخافوا أن يكون عبدًا آبقًا ؟.. وكيف يزهدون فيه وقد مُنِحَ من جمال الصورة ما لم يمنحه الله لأحد من قبله ولا من بعده .. فقد أعطاه الله شطر الْحُسْن ؟!!
- كيف رأى الذي اشتراه من « مِصْر » ملامح النجابة فيه حتى توقَّع النفع منه مستقبلاً أو أن يجعله ولدًا له بالتبنِّي ؟!!
- كيف اختلفت نظرة الإخوة إلى « يوسف » (عليه السلام) عن نظرة القافلة الذين اشتروه عن نظرة عزيز مصر ؟!!

- حين أَوَّلَ « يُوسُف » (عليه السلام) البقرات السبع السمان بسبع سنين خصبة ، والبقرات السبع العجاف بسبع سنين مُجْدِبة .. من أين علم بالعام الخامس عشر والذي لم ترد أي إشارة إليه في الرؤيا ؟
- حين دخل إخوة « يُوسُف » (عليه السلام) عليه – كيف عرفهم و لم يعرفوه ؟ وهل يخفى القمر ؟! ذلك الْحُسْن الأَخَّاذ الذي لم يُرَ مثله – هل كان متخفيًا بعمامة ، أو تاج مثلاً ؟!
- كيف أمر « يوسف » (عليه السلام) بوضع أثمان ما زوَّدهم به من الطعام في رِحَالهم وهو الأمين على الخزائن ؟! هل كان واثقًا من رجوعهم إليه لأَنَّهم لا يقبلون الحرام ؟.. وهل كان ذلك سببًا رآه كافيًا لرجوعهم خوفًا من أن يرفض الأب طلبه منهم بأن يأتوه بأخيهم ؟!
- كيف وافق « يعقوب » (عليه السلام) على سفر ابنه الثاني مع إخوته على رغم توجُّسه الشر من أبنائه ؟ ولماذا – حين أخذ عليهم الميثاق بإعادته – استثنى أن يُحَاطَ بِهِم ؟!
- لماذا طلب « يعقوب » (عليه السلام) من أبنائه عدم الدخول من باب واحد وأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرِّقة ؟ أكان يخشى عليهم من الْحَسَد كما قال البعض ؟ ولماذا لم يخش عليهم الحسد في المرة الأولى ؟ أم إنه كان يريد إعطاء « يوسف » (عليه السلام) الفرصة لينفرد بأخيه ويُعرِّفه بنفسه ؟!
- كيف اتَّهم « يوسف » (عليه السلام) إخوته بسرقة الصُّوَاع [1] وهو يعرف أَنَّهم

[1] الصُّوَاع : المكيال .

أبرياء ؟! .. أم إن الأمر كان بوحي من الله ليُؤَدِّب الإخوة لعلَّهم يُفيقون ؟!

- لماذا طلب « يُوسُف » (عليه السلام) منهم أن يحكُمُوا بأنفسهم على السارق ؟ هل كان يعلم أن شريعة « يعقوب » (عليه السلام) تقضي بالحكم على السارق بالرِّق عند الشخص المسروق منه مدة من الزمان ، فأراد أن يستنطقهم بالحكم قبل التفتيش حتى يتمكَّن من احتجاز أخيه ؟
- لماذا أخفى « يوسف » (عليه السلام) حقيقته عن إخوته حين جاءوا في المرة الأولى وطلب الإتيان بأخيهم وهدَّدهم بعدم تموينهم مطلقًا إذا لم يأتوه به ؟ هل كان ذلك لكي يعرف أخبار أبيه أولاً من أخيه بعد حضوره ؟!
- وإذا كان الأمر كذلك وقد عرف الأخبار بعد لقائه بأخيه لماذا لم يُعَرِّفْهم بنفسه ؟ هل كان غير متوثِّق من كيفية استقبالهم لهذا الخبر ومن أنَّهم مستعدون الآن للإقرار بذنبهم وللتوبة ؟!
- لماذا لم يرسل « يوسف » (عليه السلام) إلى أبيه يخبره بمكانه بعد أن مكَّن الله له في الأرض ؟ ولماذا لم يُخبر الذي اشتراه من « مِصر » بحكايته وقد أكرم نُزُله ؟!
- كيف حدث التحول في موقف الأخ الأكبر بعد أخذ « يوسف » (عليه السلام) أخاه الأصغر جزاء سرقته المزعومة فقرَّر أن يبقى إلى جوار أخيه حتى يأذن له الأب في العودة أو يجعل الله له ولأخيه مخرجًا ؟!
- حين رجع الإخوة إلى أبيهم قائلين : (إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ) إذا به يتحسَّر على « يُوسف » (عليه السلام) بدلاً من أن يتحسَّر على ذلك الذي اتُّهِم بالسرقة !! ويبكي على « يوسف » (عليه السلام) حتى ذهب نور عينيه ويتوقع

من الله أن يرد عليه أبناءه الثلاثة : يوسف .. والْمُتَّهم بالسرقة .. والكبير الذي أَبَى الرجوع إلا بإذن منه !!

- أكان بكاء « يعقوب » (عليه السلام) بسبب فراق « يوسف » (عليه السلام) وشدَّة اشتياقه إليه خاصة أنه كان متأكدًا من حياته ؟ أم كان بكاؤه تذلُّلاً لله واستعجالاً للفَرَج ؟
- أمر « يعقوب » (عليه السلام) أبناءه أن يعودوا حيث « العزيز » الذي استعبد ابنه الأصغر طالبًا منهم تحسّس الخبر عن « يوسف » (عليه السلام) !!! أليس ذلك غريبًا ولا يوجد عند « العزيز » سوى الابن الْمُتَّهم بالسرقة والابن الذي مكث إلى جواره ؟!!
- هل كان « يعقوب » (عليه السلام) يشعر أن عودة « يوسف » (عليه السلام) هي التي سوف تحل الأمور كلها ؟ وأن الرؤيا التي رآها « يوسف » (عليه السلام) لابد أن تتحقَّق يومًا ؟
- حين عاتب الأبناء أباهم على استمرار ذكره « ليوسف » (عليه السلام) بمناسبة وغير مناسبة أجاب بأنه يعلم من الله ما لا يعلمون .. هل يُفَسِّر ذلك كل شيء ؟!
- عاد الإخوة إلى « يوسف » (عليه السلام) تنفيذًا لأمر أبيهم .. ولكنهم في هذه المرة دخلوا عليه منكسرين مستضعفين قد ذهب عنهم الكِبْر ، آسفين على ما أصاب أباهم ، وأصابَهُم .. وهنا .. وهنا فقط عاتبهم « يُوسُف » (عليه السلام) على فعلتهم فعرفوه من فورهم .. فهل أحسَّ « يُوسف » (عليه السلام) من إخوته استعدادهم للإقرار بذنبهم والتوبة إلى الله وبأنه قد آن الأوان

لجمع الشمل ؟

- ها هي الأيدي التي ألقت « بيوسف » (عليه السلام) في البئر تمتدّ تطلب منه أن يتصدَّق عليهم ! سبحان الله !!!
- اعترف الإخوة بخطيئتهم مُقرِّين بأن الله قد آثر « يوسف » (عليه السلام) عليهم ، وأن حُبَّ أبيهم له كان له ما يُبَرِّره ..
- قَبلَ « يوسف » (عليه السلام) اعتذار إخوته بأسلوب الصفح الجميل الذي لا يَقْوى عليه أحد إلاَّ الأنبياء .. وأمرهم بالعودة إلى أبيهم وإلقاء القميص على وجهه ليعود إليه بصره .. سبحان الله .. كيف عرف « يوسف » (عليه السلام) أن إلقاء القميص على وجه أبيه يعيد إليه البصر ؟!!
- ما إن خرج الإخوة بالعير من حدود « مصر » ، حتى صَرَّح « يعقوب » (عليه السلام) لِمَنْ حوله بأنه يشم رائحة « يوسف » (عليه السلام) على رغم بُعْد المسافة مما جعل سامعيه يتَّهمونه بالتخريف ..
- صَدَقَ « يوسف » (عليه السلام) فقد ارتدَّ البصر إلى أبيه بمجرد أن أُلْقِيَ القميص على وجهه فذكَّر « يعقوب » (عليه السلام) مَن حوله بما أخبرهم به من أنه يعلم من الله ما لا يعلمون ..
- التأم شمل الجميع واستقبل « يوسف » (عليه السلام) أبويه وإخوته ، وخَرَّ الجميع له سُجَّدًا ، وبِهَذا تحقَّقَت رؤياه .. وها هو يُرجع الفضل إلى الله في إخراجه من السجن وفي جمع الشمل ولا يذكر نجاته من البئر كي لا يذكِّر إخوته بخطيئتهم نحوه ، وينسب ما حدث من إخوته إلى نزغ الشيطان تلطُّفًا ورحمة بِهِم ..

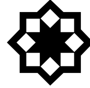
- لم يطلب « يوسف » (عليه السلام) الموت و لم يذكره طوال تعرُّضه للمحن حتى إذا اكتملت السعادة بالْمُلْك والسُّلْطَان واجتماع شمل الأسرة وتوبة إخوته لجأ إلى الله شاكرًا مُقِرًّا بنعمه عليه طالبًا رعايته وولايته إلى أن يتوفَّاه مُسْلِمًا ويُلحقه بالصالحين !!
- هذا في شأن « يوسف » (عليه السلام) مع إخوته ، أما شأنه مع « امرأة العزيز » فشيء آخر إذ ضرب مثلاً للعِفَّة لا ينقضي على مَرِّ الزمان .. والغريب أنه لم يتهمها – على رغم صغر سِنَّه وقِلَّة حيلته – إلا دفاعًا عن نفسه بعد أن اتَّهَمته هي ظلمًا .. والأغرب من كل ذلك أنَّها أدخلته السجن على رغم براءته التي ثبتت أمام زوجها بما لا يدع مجالاً للشك مطلقًا .. فكيف استطاعت ذلك وكيف رضى زوجها بذلك ؟!
- هل وجد الزوج أن هذا هو الحل الوحيد بعد أن فشت الإشاعة بين الناس في المدينة فأراد أن يثبت براءة زوجته ؟!
- هل كان دخول « يوسف » (عليه السلام) السجن بناءً على طلبه ذلك من الله ، ولو طلب العافية والنجاة لعُوفِي و لم يُسْجَن ؟!
- على رغم دخول « يوسف » (عليه السلام) السجن بسبب عِفَّته إلا أنه لم ينس الله تبارك وتعالى وظل يدعو إلى معرفته وتوحيده ناشرًا الهداية بين زملائه فيه ..
- شِدَّة البلاء الذي أصاب « يعقوب » و« يوسف » (عليهما السلام) تدعو للاندهاش والتعجُّب وهما نبيَّان من ذُرِّية أنبياء و لم يرد في القرآن أي ذكر لهفوة ارتكبها أحدهما ، وصدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين سُئل : **أَيُّ النَّاسِ**

أَشَدُّ بَلاَءً ؟ فقَالَ : (الأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، يُبْتَلى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاَءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ) [1] ..

- برحمته الواسعة وفقَّ الله سبحانه وتعالى أبناءَ « يعقوب » (عليه السلام) إلى التوبة على رغم شناعة جُرْمِهم في حق أبيهم وحق أخيهم ..

هذا .. وما ذُكِر من تأملات في سورة « يوسف » قليل من كثير .. يجد الإنسان نفسه أمامها لا يملك إلا أن يهتف من أعماقه (سبحان الله !!) ..

سبحان الذي يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يُريد ..
سبحانه لا رادَّ لقضائه ، ولا مُعَقِّبَ لِحُكْمِه ..
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ..



[1] رواه ابن ماجه كتاب الفتن .

قول الله تعالى

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾

سورة الرعد

- تناول المفسرون هذه الآية بتأويلات مختلفة .. فمنهم مَنْ قال : إن المقصود بالأرض أرض الكفار التي تتناقص باستيلاء المسلمين عليها .. وينفي ذلك الرأي ما حدث في القرون الأخيرة من تناقص أرض المسلمين باستيلاء الكفار عليها كما حدث في كثير من الأماكن « كالأَنْدَلُس » مثلاً ..
- ومن المفسرين مَنْ قال إن الآية إشارة إلى تآكل الشواطيء بفعل أمواج البحار والمحيطات ..
- ومن الأقوال التي قد تترجَّح أن الأرض في الأصل كانت كرة ملتهبة أخذ سطحها يبرد شيئًا فشيئًا ولازال باطنها ملتهبًا بدليل ما يحدث من ثورة البراكين في أماكن كثيرة .. وعليه فإنَّها تنكمش بفعل البرودة فيقل محيطها وذلك هو الإنقاص من أطرافها !!
- لما كان القرآن هو آخر الكتب المنــزلة ، فليس بعده كتاب ، ولما كان صالحًا لكل زمان من حيث إعجازه .. فقد وردت فيه آيات يختلف تفسيرها بحسب زمان مفسريها ، ومنها ما لم يأت زمان تفسيرها بعد .. ولذلك قال السابقون : (**ما فهمناه عملنا به ، وما لم نفهمه آمنا به**) ..

اللهم ارزقنا الفهم في كتابك .. والعمل بما جاء فيه ..

قول الله تعالى

وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾

سورة إبراهيم

لقد قال العلماء إن القيامة مواقف متعدِّدة ومشاهد مختلفة منها ذلك المشهد الذي تحكيه الآية وهو وقوف الشيطان خطيبًا على رؤوس الخلائق يتبرَّأ من أفعالهم ، وينفي وجود أي سلطان له عليهم في الدنيا .. فالأمر لا يعدو أن يكون دعوة منه وهي : الوسوسة ، ووقوعًا في حبائله وهو : الاستجابة .. ومن ذلك يتضح الآتي :

- أن مقولة بعض الناس : (إن الشيطان شاطر) لا أساس لها من الصحة .. وأن الأمر لا يعدو أن يكون دعوة إلى ارتكاب المنهيات ..
- أن سيطرة الجن على الإنس باللبس أمر مستحيل غير حادث ..
- زواج الإنس من الجن خدعة كبرى يلجأ إليها بعض الدجالين لابتزاز أموال السفهاء والجهلة ..
- أن الإنسان مسئول عن أفعاله مسئولية كاملة فقد كان مختارًا في أن يستجيب للشيطان أو لا يستجيب له ..
- تنصُّل الشيطان من مسئوليته عن إشراك الناس أو معاصيهم لا ينفعه يوم القيامة ولا يُنَجِّيه .. وما ربك بظلام للعبيد ..

قول الله تعالى

إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾

سورة الحجر

- هذه الآية تكفي دليلاً على أن « القرآن » من عند الله .. وها هي القرون قد مرَّت .. أكثر من أربعة عشر قرنًا على نزول القرآن ولا زال محفوظًا في الصدور مسطورًا في الأوراق لم يَزِد فيه حرف و لم ينقص منه حرف .. بل تدور المطابع في المشرق والمغرب لطباعته ، وكذلك أجهزة التسجيل تعمل لَيْل نَهَار في طبع الأشرطة .. ويتعاون في ذلك المسلم وغير المسلم .. فآلات المطابع ، وأجهزة التسجيل لا تقتصر صناعتها على المسلمين فحسب بل تصنع في بلاد غير مسلمة بأيدي غير المسلمين ..
- وإذا كان الأمر كذلك فهو بفضل الله وإرادته إذ تكفَّل هو بحفظ القرآن من الاندثار أو التبديل والتحريف .. أما الكتب السابقة فقد أَوْكَل الله إلى مَنْ نزلت إليهم أن يحفظوها فضيعوها .. وإلا فأين الكتب التي أُنزلت على الرسل قبل رسولنا عليه الصلاة والسلام ؟ أين « صحف إبراهيم » ؟ أين « الزبور » ؟ أين « التوراة » و« الإنجيل » وغيرهما مما لا نعلم ؟ ..
- كل ذلك اندثر أو بُدِّلَ أو حُرِّفَ وزُيِّفَ ، و لم يبق إلا « القرآن » الذي تعهد الله تبارك وتعالى بحفظه .. ألا يعتبر ذلك تحدِّيًا للكفار في كل مكان وزمان ؟ وألا يماثل هذا التحدِّي – التحدي بالإتيان بسورة من مثله وهو ما عجز عنه فصحاء العرب في كل زمان ومكان ؟

ولا يزال التحدِّي قائمًا إلى أن تقوم الساعة .. وصدق الله العظيم ..

قول الله تعالى

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمًا طَرِيًّا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةً تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝١٤ ﴾

سورة النحل

- غريب ذلك التعبير بكلمة (طَرِيّ) كصِفَة للطعام الخارج من البحر على اختلاف أنواعه من أسماك وقشريات ورخويات .. والنبي (ﷺ) لم يَر البحر ولا رأى طعامه إلا مرة واحدة حين جاءه بعض أصحابه من غزوة كانت قِبَل البحر بقيادة « أبي عُبَيدة بن الجرَّاح » ببعض لحم من حوت قذفه الماء إلى الشاطيء ، ومن الطبيعي أنه كان مُقَدَّدًا مرَّت عليه أيام وأسابيع و لم يكن بحالته الأصلية حتى يستطيع أن يصفه بالطَّرَاوَة .. كما أن أصناف المطعومات البحرية لا عَدَّ لها ولا حصر وكلها تشترك في هذه الصفة العجيبة وهي الطراوة ..
- ومن المعلوم أن الحيوانات البرية والطيور إذا كَبِرَت في السِّنِّ تغيَّر لحمها ، وطعمها ، ورَخُصَ ثمنها ، وطالت المدَّة اللازمة لنُضْجِها بعكس صغيرة السِّنِّ منها .. أما الأحياء المائية فمهما كَبِرَت في السِّنِّ وطالت مُدَّة بقائها في الأنْهَار أو البحار لا يفقد لحمها صفة الطراوة أبدًا ، فصغير السن فيها ككَبِيره من حيث الطراوة وسرعة النضج ، ومن حيث الطعم كذلك ..
- فمن أين جاء هذا الوصف لطعام البحر ؟ لاشك ولا مراء في أن الواصف هو الخالق سبحانه وتعالى جل شأنه وصدق كلامه !!

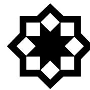
قول الله تعالى

وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾

سورة النحل

- هذه الآية خُتِمت بقوله عز وجل : (إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ) ، وجاءت الآية نفسها في سورة « إبراهيم » مختتمة بقوله : (إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ)[1] ..
- تُرى لماذا اختلفت الخاتمة في الآيتين ؟!
- هل يُفهم من الآية الأولى أن الخطاب فيها للمؤمنين الذين أقرُّوا بنعمة الله عليهم فشكروها وخافوا من إغفالهم الشكر على نِعَم كثيرة خَفِيَت عليهم فطمأنَهُم الله عز وجل بتبشيرهم بغفرانه لتقصيرهم غير المتعمَّد ، ورحمته بِهِم باستمرار الإنعام عليهم بِهَذه النعم الخفية التي لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى ، والتي لم يشكروه عليها ؟
- وهل يمكن أن يكون الخطاب في الآية الثانية للذين لم يشكروا الله على نِعَمِهِ بل جحدوها ونسبوها إلى غيره من الأصنام والأوثان ، أو نسبُوها إلى جهدهم وحُسْن تدبيرهم ولذلك اختلفت الخاتمتان ؟!!

اللهم أَعِنَّا على شكرك ، وذكرك ، وحسن عبادتك ..
وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ..



[1] سورة إبراهيم آية ٣٤ .

قول الله تعالى

وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾

وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾

سورة النحل

- يُلاحظ في هاتين الآيتين لفتة لُغَوِيَّة تفوت أيَّ بشر لو كان هذا كلامه .. أما أمر « القرآن » الذي هو تَنْزِيلٌ من حكيم حميد فأمر آخر ، وتأمل : كلمة (أساطيرُ) مرفوعة بالضمة على رغم أن وضعها في السياق يجعلها مفعولاً به منصوبًا بالفتحة !! .. وتفسير ذلك - إذ يستحيل وجود خطأ لغوي في القرآن - أن الكفار ينكرون حدوث إنزال أصلاً فهم يزعمون أن القرآن من صنع النبي (ﷺ) .. وبالتالي لو قالوا : (أساطيرَ) كما يُتَوَقَّع في اللغة لكان ذلك إقرارًا منهم بحقيقة الإنزال وإنكارًا فقط لِصِدْقِ ما نزل .. والتقدير من حيث الإعراب : أن (أساطير) مرفوعة لأنَّها خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هو) أي قالوا : (هو أساطيرُ) .. أي هذا الكلام أساطير وليس مُنَزَّلاً من عند الله .. لأنَّهم لم يؤمنوا بصدق النبي (ﷺ) ولا بأن القرآن مُنَزَّلٌ من عند الله ، فلا فعل ولا مفعول ..
- أما الذين اتقوا فقد قالوا : (خيرًا) فاستقام المعنى مع اللفظ من حيث الإعراب فكلمة (خيرًا) مفعول به منصوب على تقدير (أَنْزَل خَيْرًا) لأنَّهم آمنوا بصدق النبي (ﷺ) ، وآمنوا بأن « القرآن » مُنَزَّل من عند الله عز وجل ، فالجملة فيها فعل وفاعل مُضْمَر مستتر ، ومفعول به منصوب ..

فسبحان مَنْ هذا كلامه !!

قول الله تعالى

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾

سورة النحل

- نعم لنا فيها والحمد لله عِبْرة ، وأي عبرة ! .. فاللبن الجامع للغِذَاء والسِّقاء ذو اللون الأبيض والطهارة والنقاء والخارج من بطون الأنعام على اختلاف أنواعها يخرج من بين فَرْث ودَمٍ .. و« الفَرْث » هو الطعام المهضوم والموجود في الكَرِش ، و« الدَّم » هو السائل الموجود في الشرايين والأوردة .. ولو تأملنا لوجدنا الفَرْث الذي يخرج من البهائم على هيئة رَوْث كريه الرائحة ذي لون أصفر ويُعَدُّ من النجاسات ، ولوجدنا الدم أحمر اللون لزجًا نجسًا وهو من الْمُحَرَّمات ..
- فكيف يخرج اللون الأبيض من بين هذين اللونين ؟! وكيف تخرج الطهارة من بين النجاسات ؟! وكيف يخرج النافع من بين الضار ؟! وكيف يخرج هذا السائغ الذي لا يَغَصُّ به شاربه أبدًا من بين ما ذُكِرَ ؟!
- والصناعات التي تقوم على اللبن كثيرة متعدِّدة وكلها نافع ، منها الجبن ، والزبد ، والسمن ينتفع بِهَا الناس في كل مكان وزمان ..
- ولو اجتمع علماء الدنيا وسُخِّرَت لهم المعامل والمصانع جميعها لاستخلاص اللبن من الفَرْث والدَّم وهما الأساس في تكوينه ما أمكنهم ذلك على رغم تقدم العلوم والمعارف ..

فسبحان الْخَلاَّق العظيم ..

قول الله تعالى

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

سورة النحل

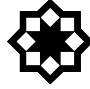
- من أعظم آيات الله في خَلْقه ما أودعه سبحانه وتعالى في « النَّحْل » .. ذلك المخلوق الصغير الضعيف الذي يُكَوِّن لنفسه مَمَالك مُنَظَّمَة ، ويتفاهم مع أفراد جنسه برموز حركيَّة راقصة هي لغة النحل ، ولكل مَمْلَكَة مَلكَة ، وشغَّالة تتقاسم فيما بينها العمل في الخلية أو خارجها ، وتعمل بلا كَلَل أو مَلَل .. وتصنع بيوتًا على هيئة مُسَدَّسَات ذات تصميم هندسي متكامل ومُعْجِز من حيث تساوي الأضلاع وإحكام الاتِّصال بينها فلا خَلَل ولا تفاوت .. وطاعة لله عز وجل تسعى بعض الشغالة في ابتغاء الغذاء من الثمرات على اختلاف ألوانِها وطعومها .. وهي تحسّ برائحة الرحيق مهما بعدت مسافته ، فتقصده وتعود إلى بيوتِهَا دون أن تَضِلَّ طريقها !!
- والأغرب من كل ذلك ما يخرجه الله من بطونِهَا من عَسَل مختلف ألوانه وطعومه إنعامًا على الناس سواءِ منهم الطائع والعاصي فيرتزقون بالتجارة فيه ، ويتغذّون بالأكل منه ، ويَسْتَشْفُون بشربه وباستعماله بطرق مختلفة .. فقد ثبت علميًّا أن عسل النحل فيه شفاء لكثير من الأدواء سواء بالشرب

أو الادهان ، خالصًا أو مخلوطًا بغيره ..

- ورحيق الزهور موجود يسهل الحصول عليه ، فهل يمكن أن تنتج المعامل البشرية ما ينتجه النحل ذلك المخلوق الصغير الضعيف ؟!!

فسبحان الْحَنَّان الْمَنَّان ..

الذي لا تُعَدُّ نِعَمُه ولا تُحْصَى على مَرِّ الدهور والأزمان ..



قول الله تعالى

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾

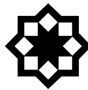
سورة الإسراء

- الآية واضحة الدلالة صريحة اللفظ ، ولكن الإنسان عند تأمُّلها يجد أن مَنْ كَفَرَ بقدرة الله على البعث لا يُوَفَّق للانتفاع بالقرآن مهما قُرِئ عليه ولو كان القارئ هو سيد الخلق عليه الصلاة والسلام .. وذلك بسبب الحِجَاب المستور ، و« الحجاب » أصلاً هو المانع الذي يمنع الرؤية ، ويستر ما وراءه .. فإذا كان الحجاب نفسه مستورًا فذلك أمر يدعو إلى الاندهاش وكأن المراد عدم تنبّه المستمع لوجود الحجاب أصلاً .. إذ لو تنبّه الشخص لوجود حجاب بينه وبين شيء فقد يحاول كَشْفَه .. أما إذا كان الحجاب نفسه مستورًا فكيف السبيل إلى كشفه ؟!
- ومعنى ذلك أن الله تبارك وتعالى لا يريد لهم الهداية لأنَّهم لا يستحقونَهَا فإن وضوح الأدلة المادية في كل الوجود مثل الأرض الميتة التي تحيا بالمطر فيَنْبت الزرع ألوانًا وأصنافًا ، وتتابع الليل والنهار .. والمياه التي تتبخَّر من المحيطات والبحار ثم يتكون منها السحاب ثم تنــزل الأمطار فتتكون الأنْهَار التي تصب في البحار .. وهكذا دون أن يختَلّ التوازن أو تنضب مياه البحار .. وأطوار خَلْق الإنسان من نُطْفَة إلى عَلَقَة إلى مُضْغَة وهكذا حتى يخرج إلى الدنيا ضعيفًا لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل ثم يُرْزَق السمع والبصر

والعقل ثم يَشُبّ ويَشِيب ثم يضعُف ثم يموت وهكذا .. كل ذلك يجعل من أمر البعث أمرًا مُمْكِنًا عَقْلاً - قبل إثبات إمكانه شرعًا - لِيُجَازَى كُلٌّ بِعَمَلِه .. فالناس منهم الصالح ومنهم الطالح المفسد في الأرض ولا يمكن أن يكونوا في الآخرة سواءً ..

- فإذا كان العقل سليمًا وقاد صاحبه إلى هذه النتيجة الحتمية استحق أن تُؤَصَّل له هذه الحقيقة شرعًا .. واستحقَّ أن يُنير الله بصيرته بالقرآن فينتفع بما يسمع .. أما إذا كان قد غلب عليه الْهَوَى وتقليد الآباء وما ألفه من جهالات فلا فائدة تُرْجَى منه لأنه آثر الضلالة على الهدى ، ولذلك يزيده الله ضلالاً على ضلاله ويحرمه من نور القرآن ، ويلزمه الْحُجَّة في الوقت نفسه ..
- ومن الملاحظ أن آيات القرآن وسُوَره حين كانت تنــزل على النبي (ﷺ) كان المؤمنون يفرحون ويستبشرون بِهَا .. وفي الوقت نفسه كانت تزيد المشركين ضلالاً وكفرًا وعنادًا وصَلَفًا .. وهي الآية أو السورة نفسها ولكن وقعها وأثرها يختلف بحسب السامع لها .. ولقد جاء ذلك في مواضع كثيرة من القرآن ..

حقًّا .. مَنْ أراد الْهُدَى وجد في سبيله التَّسْخِير ..
ومَن اختار الضلالة وجد في سُبُلِها التَّيْسِير ..
وسبحان مَنْ يهدي مَنْ يشاء ويضل مَنْ يشاء ..



قول الله تعالى

﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝٦٤ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ۝٦٥﴾

سورة الإسراء

- جاءت قصة سجود الملائكة « لآدم » (عليه السلام) وامتناع « إبليس » عن السجود في مواضع متعدِّدة في القرآن بصيغ مختلفة يظهر فيها الإعجاز اللُّغَوي والتلوين في الخطاب مع عدم الإخلال بحقيقة الواقعة .. مما جعل عَجْز فصحاء العرب عن الإتيان بمثل القرآن واضحًا جليًّا .. فها هي القصة تأتي بعبارات مختلفة وكلها تُؤَدِّي إلى المعنى المراد نفسه .. إلا أنَّها تحتوي على إضافات لم ترد في غيرها من المواضع مثل ما جاء في هذه الآية ، التي تثير التأمل والتساؤل ..
- ما هو صوت الشيطان الذي جاء ذكره في الآية ؟ أهو وسوسته ؟ أم هو صوت أعوانه الذين أسلموا له قيادَهم ؟ كهؤلاء الداعين إلى الفسق والفجور بأساليب متعدِّدة .. كالأغاني الخليعة ، والتمثيليات الهابطة ، ومزامير الشيطان .. والجدل في آيات الله بغير عِلْم .. وإثارة الفِتَن والقلاقل .. والإعلانات الراقصة عن المنتجات ، والمنتجعات ، ودور اللهو والمسارح .. إلخ .. إلخ ..
- من هم جنود الشيطان ؟ أوَمنهم مشاة ومنهم فرسان حقيقة أم إن في الكلام مجازًا يُعَبِّر عن اختلاف قوَّة جنوده من بنيه ووسائلهم في الهجوم على بني آدم ؟! أم هم من الإنس وينسحب الكلام على أعداء الإسلام

الذين تحزَّبوا ضده وجيَّشوا الجيوش وتسلَّحوا بأسلحة الدمار الشامل وأرهبوا الحكام المسلمين وشعوبَهُم ليسيطروا على مقدراتِهِم ويستنفدوا ثرواتَهُم ؟!

- كيف يشارك الشيطان بني آدم في الأموال والأولاد ؟! هل الأولاد هم أولاد الزِّنَى ؟ وهل الأموال هي المكتسبة من حرام كالرِّبَا والسُّحْت والرِّشَا وأجور الخلاعة والرقص وما إلى ذلك ؟!
- تلك تساؤلات قد يجد المتأمل إجابة عنها وقد لا يجد ، وقد تختلف الإجابات من شخص لآخر ويبقى في النهاية صدق الخبر الذي جاء في القرآن ، والتحذير من « إبليس » وجنوده ..
- أما وَعْد الشيطان فقد يكون الوعد بطول العمر ، أو الوعد بالمغفرة ، أو الوعد بأنه لا بعث ولا حساب ، حسب اختلاف مَنْ يَعِدهم .. ولقد علمنا أن وعده كاذب وأنه سوف يقِر بذلك ويَعْترف على رؤوس الخلائق يوم القيامة ويتبرَّأ من أتباعه ومما عبدوه من دون الله ..
- أما كلمة (عِبَاد) فقد جاءت في القرآن في مواضع الثناء والحماية من الشيطان فهي جمع كلمة (عابد) ، أما كلمة (عبيد) فقد جاءت في بعض مواضع نفي الظلم عن الله عز وجل .. فهل نفهم من ذلك أن كل العِبَاد عبيد وليس كل العبيد عبادًا ، بمعنى أن العباد سجدوا لله طوعًا أما العبيد فهم الساجدون لله هم وظلالهم كَرْهًا ؟!

نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ..

ونسأله أن نكون من عباده الذين لا سلطان للشيطان عليهم ..

قول الله تعالى

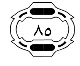
﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾

سورة الإسراء

- هذه الآية يتَّخِذها بعض المشتغلين بالدَّجَل دليلاً على ما يُطلقون عليه : « التداوي بالقرآن » أي قراءة بعض آيات القرآن على المريض حتى يتخلَّص من « لبس الجن » أو من بعض الأمراض العصبية والنفسية .. ولو كان الأمر كذلك لما أخبرنا الرسول (ﷺ) بأن الله خلق الداء وخلق الدواء وأَمَرَنا بالتداوي ..
- هذا .. وإن كان المقصود بالآية ما يزعمون لكانت قراءتـــها على المريض المؤمن تشفيه ، وقراءتـــها على المريض الظالِم تُرْدِيه .. كما هو واضح من منطوق الآية كما يفهمونَهَا ..
- والمعنى الصحيح المقصود بكلمة (الشفاء) في الآية هو : شفاء الصدور من شُبُهات الشك التي يُرَوِّجها الْمُعْرِضون .. إذ إن الآيات كانت تنـــزل للرَّدِّ على ما يثيره المشركون من شُبُهات وتساؤلات يُقْصَد بِهَا بلبلة الأفكار مثل قولهم : إن محمدًا يُحِلُّ ذبيحة نفسه ويُحَرِّم ذبيحة الله ، مقارنين بين تحليل أكل ذبيحة المسلم وتحريم أكل الْمَيْتَة ..
- لذلك كان على المسلم أن يتدبَّر آيات الله ولا ينساق وراء ادِّعاءات لا أساس لها من الصِّحَّة مما يعرضه لكثير من المتاعب النفسية والمادية ..

اللهم اشْفِ صدورنا ونوِّر أبصارَنا وقلوبَنا ..

قول الله تعالى

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا 

سورة الإسراء

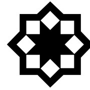
- اعتاد يهود المدينة أن يتعنَّتوا بسؤال الرسول (ﷺ) عن أمور كثيرة ، أو يدفعوا مشركي مكة إلى سؤاله ، فيَنْزِل القرآن صادعًا بالحق فيبهتُهم فلا يكفُّون عن التعنُّت على رغم علمهم بصدق النبي (ﷺ) ويثيرون تساؤلات جديدة وهكذا .. ومن ضمن أسئلتهم كان السؤال عن الروح فقد قالوا : سلوه عن الروح فإن أجابكم فهو ليس بنَبِيّ .. فسألوه فسكت حتى أُوحِيَ إليه ثم أجابَهُم بِهَذه الآية الكاشفة للحق بأن الروح من أمر الله عز وجل .. وقد قال العلماء إن المقصود بالروح المسئول عنه هو « جبريل » (عليه السلام) ، وقال بعضهم هو « عيسى » (عليه السلام) ، وقال بعضهم هو « القرآن » .. وأرجح الأقوال أنه الروح الذي به تحيا الأبدان ، وإذا كان الإنسان عاجزًا عن إدراك أقرب شيء إليه وهو الروح فهو عن إدراك ما غاب عنه أعجز .. وكلمة (أمر) كما هي واحد (الأمور) فهي واحد (الأوامر) .. والأوامر أمران : أمر تكليف ، وهو بقول (إفعل) أو (لا تفعل) ، وأمر تكوين – أي خَلْق من عدم – وهو بقوله تعالى للشيء (كن) ، فيكون .. وللمساعدة في فهم الآية يُرجع إلى قول الله عز وجل : (أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ)[1] ..

---

[1] سورة الأعراف آية ٥٤ .

- إذاً فالْخَلْقُ غير الأَمْرِ .. والرُّوح التي بِهَا تحيا الأبدان وبانتزاعها تموت الأبدان لا تُدْرَك بالحواس وإنما تُدْرَك بآثارها .. وهي سِرٌّ من الأسرار التي لا يعلَمُها إلا الله .. لذا جاءت الإجابة الواضحة بأن الروح من أمر الله و لم يقل : من خلق الله ..

وسبحان مَنْ هذا كلامه !!



قول الله تعالى

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾

سورة الكهف

قَصَّ الله علينا في سورة « الكَهْف » قصة فِتْية آمنوا بربِّهم في زمان انتشر فيه الكفر والشرك ، واعتزلوا قومهم اتِّقاء شَرِّهم ، وخوفًا على أنفسهم من الفِتْنة .. فجعلهم الله آية للناس في كل مكان وزمان ، ودليلاً على قُدْرته عز وجل على الإحياء ، والإماتة ، والبعث ..

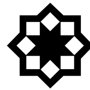
وبالتأمل في الآيات التي تحكي قصتهم تثور في النفس تساؤلات تجعل الإنسان يقف أمامها مبهورًا هاتفًا من أعماقه : سبحان الله !!

وإليك بعضها :

- لماذا جرى على « الكلب » ما جرى عليهم ، وما فائدة وجوده معهم تلك المدة التي زادت على ثلاثمائة سنة ؟!
- ما هي الرحمة التي توقَّع الفتية أن ينشُرَها لهم ربُّهم في « الكَهْف » ؟!
- لو اطَّلع أحد عليهم لفَرَّ منهم خوفًا ورعبًا .. تُرَى من أي شيء يخاف ولماذا يرتعب ؟!
- كيف لم يدخل عليهم سَبْعٌ أو حَيَّةٌ أو عَقْرَبٌ وهم في كهف منعزل عن العمران ؟!

- تساؤلهم بعد استيقاظهم عن مدة نومهم وتوقعهم أن يكون ذلك لمدة يوم أو بعض يوم يعني أَنَّهم قاموا كما ناموا لم تتأثر هيئاتُهُم و لم تطل شعورهم أو أظفارهم كما جاء في قصص بعض كُتَّاب القصة ..
- هل كان تقليبهم ذات اليمن ، وذات الشمال لحمايتهم من قرحة الفراش التي تصيب الراقدين مرضًا ؟!
- تسخير الشمس حال طلوعها وحال غروبِهَا في تجاوز كهفهم عند الشروق وكذلك عند الغروب .. هل كان لغاية ؟ ما هي ؟!!
- حساب السنين الشمسية الثلاثمائة بحساب السنين القمرية يُسَاوِي ثلاثمائة وتسعًا .. فهل هذا هو المقصود من الآية ؟!
- أمات الفتية بعد العثور عليهم مباشرة أم قتلهم كفار ذلك الزمان ؟ أم عاشوا يدعون الناس إلى عبادة الواحد الأحد ؟!!
- هل كان قرار بناء مسجد عليهم من أجل التَّبَرُّك بِهِم بعد موتِهِم ؟ وهل كان ذلك مُبَاحًا في شريعة مَنْ عاصروا استيقاظهم ؟
- ترى ، أكان ما حدث لأهل الكهف من أجل حمايتهم من قومهم – حتى لا يُعَذَّبُوا أو يُفْتَنُوا عن دينهم – أم كان لهداية مَنْ عاصروا استيقاظهم .. أم كان للأمرين معًا ؟!

سبحان مَنْ لا تخلو أفعاله من الحكمة !!



قول الله تعالى

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۝٦٢﴾

سورة الكهف

قيل : إن السبب في ما حدث بين « موسى » (عليه السلام) و« الخضر » أن « موسى » (عليه السلام) كان في ملإ من قومه فسُئِل : هَلْ هُناك مَنْ هو أعْلَم منك ؟ قال : لا .. فأوحى الله إليه : (**بلى عبدنا خضر**) .. فسَأَلَ « موسى » (عليه السلام) عن السبيل إلى لقائه ، وتم اللقاء ، وحدث ما قصَّه الله علينا من خبرهما في سورة « الكهف » .. وإليك أيها القارئ الكريم بعض التأمُّلات في هذه القصة :

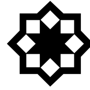
- إصرار « موسى » (عليه السلام) على لقاء « الخضر » ولو اضطر إلى السَّفَر سنينَ طويلة ..
- لم يشعر « موسى » (عليه السلام) بالتعب أو الجوع إلا بعد مجاوزته المكان الذي حُدِّدَ له للقاء « الخضر » .. أفحدث ذلك لأن سَيْره أولاً كان طاعة لله ، فلما جاوز المكان نتيجة نسيان غلامه للحوت لم يكن على الطريق الصحيح .. أم كان رحمة من الله لِيَتَنَبَّه « موسى » (عليه السلام) لفقد الحوت الذي جُعِلَ علامة على مكان « الخضر » ؟!
- كيف علم « الخضر » أن « موسى » (عليه السلام) لن يصبر على ما سوف يراه ؟
- حدثت حوادث ثلاث في فترة صحبة « موسى » (عليه السلام) « للخضر » وهي : خرق السفينة .. قتل الغلام .. بناء الجدار الذي كان على وشك السقوط .. ولقد اعترض « موسى » (عليه السلام) على تصرف « الخضر » في الحوادث الثلاث لمخالفتها في ظاهرها لشريعته ..

- الحادثة الأولى تتعلَّقُ بالمال ، والحادثة الثانية تتعلق بالأبناء ، والحادثة الثالثة تتعلق بالمستقبل ، وهذه الأمور الثلاثة هي الشغل الشاغل للإنسان .. خوفه على : ماله ، وأبنائه ، ومستقبله ..
- يتَّضح أن عِلْم « موسى » (الطَّيِّلاً) مُخالِفٌ تمامًا لعلم « الخضر » .. وكِلاَ العِلْمين من علم الله ووَحْيه ..
- لم يُلْحَق « موسى » (الطَّيِّلاً) « بالخضر » للتعليم ، بل للتأديب على جوابه لِمَنْ سأله : هل هناك مَنْ هو أعلم منك ؟ فقال : لا .. والدليل أنه لم يتعلَّم (الطَّيِّلاً) من « الخضر » شيئًا ، فهو لا يستطيع أن يفعل كأفعاله وإنما عَلِمَ السِّرَّ فيها فقط !!
- التبريرات التي ساقها « الخضر » عن أفعاله « لموسى » (الطَّيِّلاً) تتلخَّص في أن السفينة كانت لمساكين وتعطيلها بضع ساعات أو لبضعة أيام أفضل من أن يَسْلبها الْمَلِك الظَّالِم منهم إلى الأبد .. أما الغلام فلو تُرِك لأرهَقَ والديه وساقهما إلى الكفر .. وأما الجدار فلو لم يُصْلَح لانْهَار على الكنـــز ولتشرَّد الغلامان ، ولو علم « موسى » (الطَّيِّلاً) بِهَذه التبريرات لما اعترض على « الخضر » في شيء من أفعاله ..
- لم يعلم أصحاب السفينة السِّرَّ في خَرْق سفينتهم ، ولا شك أنَّهم ندموا على حمل « الخضر » و« موسى » (الطَّيِّلاً) في سفينتهم من دون أجر .. كما لم يعلم الأبوان السِّرَّ في قتل وحيدهما وظَلاَّ يبكيانه عمرهما كله .. ولم يعلم أهل القرية سر إحسان « الخضر » بإقامة الجدار لقوم رفضوا تَضْيِيفَهُ وإطعامه .. ولو علم كل منهم ما خفي عليه لظل يلهج بالثناء على الله ..

• من ذلك نعلم أن أفعال الله عز وجل مَصُونة من العبث ، ولا تخلو من الحكمة ، ولا تُعَلَّل بالعِلَل والأغراض .. وأن الإنسان قد يكره الشيء وهو خير له ، وقد يحب الشيء وهو شر له .. فمَنْ أسلم وجهه لله فذلك الكَيِّس العاقل ، ومَن استسلم لهواه فذاك الضَّال والغافل ..

وصدق القائل : البَلِيَّة نِعْمَة خَفِيَّة ..

وحَقًّا : لو علمنا الغيبَ لاخترنا الواقع ..



قول الله تعالى

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

سورة الكهف

لقد نزلت هذه الآيات إجابةً على سُؤالٍ لليهود الذين تفنَّنوا في محاولة إيذاء الرسول (ﷺ) واستفزازه بأسئلة لا تخطر له ببال ولا يعلمها أَحَد من قومه .. نعم نزلت لتؤكِّد صِدق الرسول (ﷺ) ونبوَّته وأنه لا يقول إلا ما يُوحَى إليه ..

ومن الملاحظ أن ما نزل هو بعض أخبار « ذي القَرْنَيْن » كما تشير الآية وليس كل خَبَرِه .. وبالتأمُّل في ما نزل نعلم أنه كان نَبِيًّا أو عَبْدًا صَالِحًا مكَّنه الله في الأرض ، وإن كان القول بأنه من الأنبياء هو القول الأرجح بدليل الخطاب المباشر من الله له .. ونعلم أيضًا أن استنتاج بعض الناس أن « ذا القَرْنَيْن » هو « الإسكندر الأكبر » الذي بنى مدينة الإسكندرية قول مرفوض رفضًا قاطعًا - وإليك بعض التأملات :

- أعطاه الله من كل شيء سَبَبًا .. والسبب هو : الوسيلَة الموصِّلَة إلى غاية ما .. إذًا فقد كان له من الوسائل الخاصة ما لا يتوفَّر لأحد للوصول بِهَا إلى غايات وأهداف محددة طبقًا لما هو مُكَلَّف به من الله ..
- استخدم « ذو القَرْنَيْن » سببًا حتى وصل إلى (مَغْرِبِ الشمس) ووجدها تغرب في (عَيْنٍ حَمِئَةٍ) ، والشمس في حقيقتها لا تغرب أبدًا وإنما الغروب يكون بالنسبة إلى رُؤْيَة أهل الأرض إذ إن غروبها في مكان معناه شروقها في مكان آخر .. فأين هذا المكان يا تُرَى ؟!
- أعطى الله « ذا القرنين » الحرية الكاملة في التصرُّف مع القوم الذين

وجدهم عند العَيْنِ الْحَمِئَة فكان جوابه موافقًا لشرع الله عز وجل إذ قرَّر إكرام المؤمنين وتعذيب الكافرين سواءٌ بالقتل أو بالسَّبْي أو بما لا نعرفه .. فهل يعني ذلك أنه كان مبعوثًا إليهم كما تُبْعَث الأنبياء والرسل ؟!

- حين وصل إلى (مَطْلِع الشمس) وجدها تطلع على قوم لا يجدون وقاية منها ، فليس بينهم وبينها ساتر .. فهل يُفهم من ذلك أنَّهم لم تكن لهم بيوت أو خِيَم أو أشجار أو مغارات في جبال ؟ أكانوا يعيشون في مكان مكشوف كالصحراء مثلاً ، أم إن الشمس لا تغرب عندهم بمعنى أن النهار في ذلك المكان أربع وعشرون ساعة ولا ليل عندهم ؟!
- كيف انتقل إلى (مَغْرِب الشمس) ثم إلى (مَطْلع الشمس) ، وما هي وسيلة انتقاله ؟ وإذا كان المقصود هو المغرب والمشرق في الأرض فهذه مسافة تقطع بالوسائل المتاحة في ذلك الوقت في شهور عديدة أو سنين إذ لم يكن لديهم سوى الدَّوَاب ، فلا طائرات ولا سيارات .. أم كان له شيء خاص (كالبُرَاق) الذي ركبه النبي (ﷺ) في مَسْرَاه إلى المسجد الأقصى ؟!
- لم تقُصّ علينا الآيات خبر أولئك القوم الذين لا يجدون سِترًا من الشمس لِحِكْمَة لا نعلمها .. فلعل ذلك لاستحالة استيعابنا للموقف .. أو لأن هؤلاء القوم لم يكونوا في الأرض أصلاً .. بل كانوا في البحر ، أو كانوا في الفضاء في أحد الكواكب مثلاً .. وسبحان علاَّم الغُيُوب !!
- حين وصل « ذو القَرْنَيْن » إلى مكان يقال له « بَيْنَ السَّدَّيْن » .. وهو مكان مجهول منا تمامًا .. وجد قومًا لا يَفْقَهُون قولاً ، ومع ذلك تَقُصُّ الآيات حوارًا دار بينهم وبين « ذي القرنين » .. أَفَتَعَلَّم لغتهم ، أم تعلَّمُوا

لُغَتَه ، أم إن التفاهم كان بالإشارة مثلاً أو بالرَّسْم ، أو بوَسِيلة أخرى ؟!

- حين عرض القوم على « ذي القرنين » أجرًا لبناء سَدٍّ يحول بينهم وبين « يأجُوج ومأْجُوج » رفض ذلك الأجر شأن الأنبياء جميعًا الذين يبتغون الأجر من الله .. وقرَّر أن يجعل بينهم وبين « يأجوج ومأجوج » رَدْمًا لا سَدًّا .. فما الفرق بين السَّدِّ وبين الرَّدْم ؟
- طلب « ذو القَرْنَيْن » العونَ من القوم وأمرهم بالعمل في إعدادِ قطع ضخمة من الحديد ، ووضعِها في المنفذ إلى المساحة الواقعة بين الجبلين ، وإحمائِها بالنار حتى تَحْمَرَّ وتَلْتَهِب ، ثم صهرِ نحاس وإفراغِه عليها .. فهل أمرهم بذلك ليعلمهم أن الاستكانة للظلم غير مطلوبة وأن المظلوم عليه أن يستفرغ طاقته لرفع الظلم عن نفسه بشتَّى الوسائل الممكنة ؟
- تُرَى كم من الوقت استغرق بناء الرَّدْم ؟ وأين كان « يأْجُوج ومأْجوج » وقت البناء ؟! وكيف سكت « يأجُوج ومأجُوج » عن هذا الفعل الذي يحول بينهم وبين الدنيا ، إذ يجعلهم محصورين محبوسين في مكانِهِم ؟ هل كانوا مسافرين سفرة طويلة ؟! هل كانوا في فترة بيات شتوي فهم نائمون ولا يشعرون بما يجري ؟ هل كانوا مقهورين مرعوبين لا يستطيعون حراكًا لما « لذي القرنين » من هَيْبَة وسُلطان شخصي مَنَحَه الله له كما كان الْجِنُّ يرهبون « سليمان » (عليه السلام) ؟!
- حين اكتمل صنع الرَّدْم لم يفكِّر « يأجُوج ومأجُوج » في محاولة تسلُّقه بل يئسوا من ذلك تمامًا ولكنهم حاولوا خَرْقَه فلم يتمكَّنُوا .. وذلك يتَّضح من الفرق في التعبير بكلمتي (اسْطَاعُوا) و(اسْتَطَاعُوا) إذ إن دخول التاء على

الفعل تفيد : المحاولة .. وكأَنَّهم حين نظروا إلى الرَّدْم علموا استحالة تسلُّقه ولكنهم اعتقدوا إمكان إحداث ثُقْب فيه ينفذون منه إلى العَالَم الخارجي ..

- من علامات الساعة أن يُدَكَّ الرَّدْم ويُفْتَح « ليأجوج ومأجوج » كما أخبرنا القرآن فيعيثون في الأرض فسادًا ولا يَقْوَى على مقاومتهم أحد .. فكيف يكون ذلك على رغم ما لدى الناس الآن من أسلحة تدمير لا قِبَل لأَحَد بِهَا ، ولازال سباق التسلُّح واختراع المزيد من أسلحة التَّدْمير الشامل قائمًا بين الدول ؟! وإذا كان الأمر كذلك فكيف قهرهم « ذو القرنين » وأي قُوَّة كانت لديه ؟!
- تروي السيدة « زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ » أم المؤمنين (رضي الله عنها) أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ : (**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ .. وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**) وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا .. [1]
- تُرى أما زال الثُّقْب يَتَّسع ؟ ومتى يُسْمَح بخروجهم إلى الناس ؟! أم إنَّهم خرجوا فعلاً كما جاء في أقوال بعض العلماء الذين زعموا أن « يأجُوج ومأْجوج » هم « التتار والمغول » الذين حاربوا المسلمين ، واستولوا على كثير من أراضيهم ؟
- تضاربت أقوال المفسرين تضاربًا كبيرًا في شأن « يأجُوج ومأجُوج » فمنهم مَنْ زعم أَنَّهم مخلوقات صغيرة الحجم جدًّا .. ومنهم مَنْ زعم أَنَّهم

---

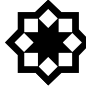
[1] رواه البخارى كتاب أحاديث الأنبياء .

مخلوقات كبيرة جدًّا .. ومنهم مَنْ زعم أن لكل منهم أُذُنَيْن كبيرتين ينام على إحداهما ويغطي نفسه بالأخرى .. ومنهم مَنْ زعم أنَّهم يشربون مياه الأرض ، ويأكلون كل ما عليها من نبات .. وهكذا ، كل ذلك لم يَرِد فيه نَصٌّ صريح لا في القرآن ولا في الحديث الصحيح ..

- تُرَى أين مكان « يأجُوج ومأجُوج » وكيف لم نصل إلى معرفة مكانـــهم أو حتى آثارهم .. والأقمار الصناعية تدور حول الأرض وتصوِّر كل مكان فيها ؟!!

سبحان الله العظيم الذي أحاط بكل شيء عِلْمًا !!

سبحانه .. سبحانه .. يخلق ما لا تعلمون !!



قول الله تعالى

فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾

سورة مَرْيم

لقد كان « عيسى ابن مريم » (الطَّيْلا) آية من آيات الله عز وجل الدالة على قُدْرَته وحِكْمته ، فقد خُلِقَ من غير أَب .. كما خُلِقَت « حواء » من غير أُمٍّ إذ إنَّها خُلِقَت من ضِلَع من أضلاع « آدم » (الطَّيْلا) فكأنَّه كان أبًا لها .. ولقد خُلِقَ « آدم » (الطَّيْلا) من غير أبٍ ومن غير أُمٍّ وخُلِقَ الناس كُلُّهم من أَبٍ وأُمٍّ .. وهكذا تكتمل الدائرة التي تدل على أن الله يخلق ما يشاء كيف يشاء دون حاجة إلى الأسباب .. والمعْجِزَة في خَلْق « عيسى » (الطَّيْلا) لم تكن في إيجاده من غير أب فقط ولكن كانت أيضًا في كلامه في الْمَهْد كلام الْحُكَمَاء ، وفي إيتائه العِلْم والْحِكْمة ، وتعليمه « التوارة » و« الإنجيل » .. ثم في إجراء الشفاء على يديه ، وفي إحيائه الْمَوْتَى ، وإخباره الناس بما يُخَبِّئون في بيوتِهم إلى غير ذلك من معجزات ظاهرة .. والله على كل شيء قدير .. وبالتأمل فيما حكى القرآن عنه نلاحظ ما يلي :

- وُلِد (الطَّيْلا) آمرًا من أول لحظة .. فقد أمر أُمَّه بالأكل والشرب ، وأمرها بالصيام عن الكلام عند لقائها قومَها وتَرْكِ الأمر إليه ..
- وُلِد (الطَّيْلا) حانيًا عطوفًا رحيمًا من أول لحظة .. فقد خفَّف الصدمة عن أُمِّه وتلطَّف بِها وبشَّرها بأَنَّها وَلَدَت سَرِيًّا .. وسُراة القوم هم أشرافهم ورؤساؤهم .. أو سَرِيًّا بمعنى الماء الجاري لتشرب منه ، وتغسل عن نفسها وعن وليدها آثار الوضع ..
- ما إن اتَّهم القوم أُمَّه – حين جاءَتْهُم وهي تحمله – حتى أشارت إليه كما

أمرها ، وبدأ هو الكلام بتعريف الناس نفسه بمنتهى الفصاحة والإيجاز ..

- سكت القرآن عن الكلام عن « مريم » الصِّدِّيقة (عليها السلام) بمجرَّد أن نطق « عيسى » (عليه السلام) ، وكان آخر الحكاية عنها أنَّها (أَشَارَتْ إِلَيْه) ..
- انتهى دور « مَرْيَم » في الحياة بوضعها مولودها ، وبدأ دور المولود من لحظة ولادته .. وهكذا لكل إنسان دوره في الحياة لا يتجاوزه ولا يتخطَّاه ، وكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له ..

ولكن قد تثور في النفس بعض التساؤلات :

- أكان « عيسى » (عليه السلام) يتكلَّم مع أُمِّه في خلوتِهِما - وهو ما زال في المهد رضيعًا - كما كان يتكلَّم مع الناس ؟! أَوَكان يطلب منها إرضاعه وإضجاعه وما إلى ذلك من شئون الحياة ؟ أم كانت طفولته طفولة طبيعية في كل شيء .. ولا يتكلَّم بالحكمة وكلام الرجال إلا مع الناس فقط إذ تتطلَّب المعجزة ذلك ؟!
- أكان نموُّه نموًّا طبيعيًّا بمعنى أنه كان يحبُو ، ثم يَقِف ، ثم يتعلَّم المشي وهكذا ؟! أَوَكان يبكي كما تبكي الأطفال ؟ أم إنه لم يَعِش طفولتهم قط ؟!
- أعاشت « مَرْيَم » حتى رُفِعَ الْمَسِيح ؟ وكيف كان تصرُّفها حينئذ ؟ أم إنَّها ماتت قبل رفعه (عليه السلام) ؟!

تلك أمور سكت عنها القرآن لأنَّها لا تُقدِّم ولا تُؤَخِّر في الموضوع .. وتلك عادة القرآن في قَصَصِه حيث يهتم بالعِبْرة والعِظَة وتقرير الحق ، الذي اختلف فيه الناس .. وكل ما سكت عنه القرآن وإن جاز التأمُّل فيه فإنه لا يَصِحُّ الخوض فيه .. أما هذه التأملات والتساؤلات التي لا يستطيع المتأمِّل أن يمنع نفسه عنها فلا إجابة لها إلا بالهتاف من الأعماق : (**سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِه .. سُبْحَانَ الله العَظِيم**) ..

قول الله تعالى

﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥ ﴾

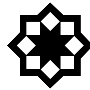
سورة مَرْيم

- هذه الآية من معجزات القرآن العظيم .. وهي نوع من أنواع التحدِّي الْمُعْجِزِ للمنكرين والجاحدين ..
- والتحدِّي في هذه الآية قائم إلى أن يَرِث الله الأرضَ ومَنْ عليها ..
- والسؤال في الآية ببساطة شديدة : هل هناك مَنْ يشارك الله في اسْمِهِ ؟! أي : هل هناك من سَمَّى نَفْسه (الله) أو سَمَّاه أبواه (الله) ؟ .. هل حَدَث ذلك في الماضي ، وهل هو حادث في الحاضر ؟ أبدًا لم يحدث ..
- والتحدِّي في الآية يجعله مُستحيلاً في المستقبل سواءٌ أكانت التسمية باللغة العربية أم بغيرها من لغات الأرض ولهجاتِهَا ..
- حتى مَنْ تألَّه من الجبابرة لم يُطْلِق أحدهم هذا الاسم على نفسه مطلقًا .. وأشهر المتألِّهين كان « فرعون » الذي قال : (أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ) كما حكى عنه القرآن ، ولم يقل : (أنا الله) أبدًا ، والذي حَاجَّ « إبراهيم » (عليه السلام) في رَبِّه زعم أنه يُحيي ويُميت ولم يقل : (أنا الله) .. و(مشركو مَكَّة) أطلقوا على الأصنام أسماءً عديدة : كاللاَّت ، والعُزَّى ، ومناة .. وقوم « نوح » (عليه السلام) أطلقوا على أصنامهم أسماء أخرى مثل : وُدّ ، وسُواع ، ويَعُوق ، ويَغُوث ، ونَسْر .. ولم يحدث في تاريخ البشرية أن وُجِد مَنْ يحمل هذا الاسم العظيم (الله) ولن يحدث ..

- ومن الغريب أن الآية نزلت ومشركو مَكَّة يجادلون ، ويعاندون ، ويكذبون ، وكذلك يهود المدينة ، ومع ذلك لم يُطْلِق أحدهم هذا الاسم على مولود له ولو من قبيل تكذيب ما نزل .. فسبحان الله الذي يقول الحق وهو يهدي السبيل ..
- قيل إن (الله) هو اسم الله الأعظم .. وقيل غير ذلك ، وقيل إن الاسم الأعظم موجود في آية الكرسي ، وفي أول سورة « آل عمران » ..

اللَّهُمَّ إنَّا نسألُكَ باسْمِكَ العظيمِ الأَعْظَمِ الطَّيبِ الطَّاهِرِ الْمُبَارَكِ الأَحَبِّ إليك .. الذي إذا دُعِيتَ به أَجَبْتَ ، وإذا سُئِلْتَ به أعطيتَ ، وإذا استُرْحِمْتَ به رَحِمْت ، وإذا استُفْرِجْت به فرَّجْتَ ..

أن تجعلَ القرآنَ العظيمَ ربيعَ قلوبِنا ، ونُورَ صدورِنا ، وجلاءَ أحزانِنا ، وذهابَ همومِنا وغُمومِنَا ، وأن تجعلنا نتلوه كما يَجِبُ ، وكما تُحِبُّ ، وكما يُرضِيكَ عَنَّا ..



قول الله تعالى

﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٢ ﴾

سورة طه

سورة « طه » من السُّوَر التي تذكر قصة « موسى » (عليه السلام) بشيء من التفصيل مع تفاوت في الأسلوب بينها وبين ما جاء في سورة « القَصَص » أو « الأَعَرْاف » مثلاً .. كما أن فيها من الإضافات ما يدعو إلى التأَمُّل والتدبُّر :

- لماذا طُلِب من « موسى » (عليه السلام) أن يَخْلَعَ نَعْلَيه ؟ أكانت تلك إشارة إلى تَكْليف اليهود بعد ذلك بالصلاة من دون نِعال لأن الصلاة كلام مع الله ؟! أم لوجوده في واد مقدس لا يصح أن يسير فيه منتعلاً ؟!
- هل ترمز النَّعل إلى الصلة بين الإنسان والأرض فهي تلامس القدم من ناحية وتلامس الأرض من الناحية الأخرى ، وخَلْعُها يُشعر بالتجرُّد والتخلِّي عن كل ما على الأرض للتفرُّغ لسماع مَنْ ليس كمثله شيء ؟!
- هل كان طلب خَلْع النعل لينشغل « موسى » (عليه السلام) بذلك فلا تأخذه الرهبة فيولِّي مدبرًا عند سماع الكلام كما ولَّى مدبرًا عندما رأى عصاه قد تحوَّلت إلى (حيَّة) تسعى ؟!
- هل كان الأمر مجرد اختبار للطاعة ؟
- أأطاع « موسى » (عليه السلام) هذا الأمر يقينًا بأن المتكلم هو الله ؟! أم أطاع خوفًا من الآمر الذي يسمعه ولا يراه ؟!

سبحان مَنْ تجب طاعته على كل حال ..

قول الله تعالى

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾

سورة طه

يعلم الله تبارك وتعالى السِّرَّ وأخْفَى ، ويعلم ما في يد « موسى » (عليه السلام) ، ومع ذلك سأل عنه ..

- تُرى أكان ذلك لِبَثِّ الأُنْس والطمأنينة في صدر « موسى » (عليه السلام) ؟! فقد تعرَّض لموقف لم يخطر له ببال ، ولم يكن مستعِدًّا له ، ولم يحدث لأحد من الْخَلق قَبْلَه ؟ أم كان تمهيدًا لما سوف يحدُث للعصا من تحوُّل عجيب وغريب ؟!
- تُرى كيف كان شعور « موسى » (عليه السلام) وهو يعلم أن المتكلم هو الله جَلَّ وعَلاَ وأنه يكلِّمه بغير واسطة ؟!
- لماذا ذكر « موسى » (عليه السلام) في إجابته ما يفعله بعصاه وقد كان السؤال عن ماهية ما في يده فقط وكانت الإجابة بقول : (هِيَ عَصَايَ) تكفْيِ ؟!
- ما هي الْمَآرِب الأُخْرَى التي أشار إليها « مُوسى » (عليه السلام) في إجابته ؟ أهي الدفاع عن النَّفْس مثلاً واستحْيًا أن يذكره في هذا الموطن ؟ أم هو استدرار لمزيد من كلام الله تعالى فلعلَّه يسأله عن تلك المآرِب فيطول الحديث ؟!
- تُرى بأي لغة كان الكلام ؟! وبأي وسيلة كان السماع ؟

سبحان مَنْ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ..

قول الله تعالى

وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾

سورة طه

امتلأت بعض كتب التفسير بالكلام عن تلك العُقْدَة في لسان « مُوسى » (عليه السلام) ، وأنه كان في لسانه عَيْب خِلْقِيٌّ في النطق – ونعتقد أن ذلك كان من الإسرائيليات المدسوسة على كتب التُّراث – لأن ذلك أمر لا يقبله عَقْل ولا منطق .. إذ إن الرسل بُعِثت بلُغات أقوامهم ليبيِّنوا لهم ، وليقرؤا عليهم أوامر الله ونواهيه الْمُنَزَّلَة في كُتُبِه .. ولا شك أن أي عَيْب في النُّطْق ينحرِف بالكَلِم عن مَوَاضِعه مثل نُطق السين ثاء ، أو الراء لامًا مثلاً .. وذلك يستحيل في حق نبي من الأنبياء فضلاً عن رسول من أُولِي العَزْم من الرُّسُل اصطفاه الله لنفسه وصنعه على عينه ..

- وما بَعَث الله نبيًّا ولا رَسُولاً إلا كان كاملاً في الْخَلْق وفي الْخُلُق ، مُصَانًا في نَسَبِه ، مَعصُومًا من كل عَيب ، مُبَرَّأً من كل نَقْص ..
- وبالتأَمُّل في الآيات التي وردت في مواضع أخرى تتحدَّث عن هذا الشأن نفهم أن ما كان يحتاج إليه « مُوسى » (عليه السلام) هو الفصاحة والبلاغة في لغة قوم تركهم لِمُدَّة عشر سنوات وتختلف لغتُهم عن لغته ولُغَة قومه .. فهو يتكلَّم بلغة « بني إسرائيل » ، و« فرعون » وقومه يتكلَّمون بلغة أهل « مصر » .. وقد عاش « موسى » (عليه السلام) بينهم وتعلَّم لُغَتهم ، فلما فَرَّ منهم إلى « مَدْيَنَ » تَرَكَ الكلام بِلُغَتِهم مُدَّة لا تَقِلُّ عن عشر سنوات ، فمن الطبيعي أن تضعف طلاقته في الكلام بتلك اللغة ..

- وها هو يُؤْمَر بالذهاب إلى « فرعون » ليدعوه إلى الله .. وهي دعوة خطيرة تحتاج إلى الْحُجَّة والبُرْهان ، والفَصَاحَة والبيان ..
- وقد جاءت الإشارة لما نقول واضحة جليَّة في قول « موسى » (عليه السلام) كما حكاه القرآن عنه في سورة « القَصَص » : (وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِىَ رِدۡءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ)[1] .. فقد قال (أَفْصَح) و لم يقل (أَسْلم) .. إذ كان « هارون » (عليه السلام) مُقيمًا بين قوم « فِرْعون » و لم يفارقهم كما فعل « موسى » (عليه السلام) ..
- بل وجاءت الإشارة مرَّة أخرى صريحة على لسان « فِرعْون » فقد حكى القرآن عنه في سورة « الزُّخْرف » قوله : (أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٌ مِّنۡ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾)[2] ، والاتِّهَام معناه أن اللُّغة غير سَلِيمة والتعبير غير دقيق ، وليس معناه أن اللسان به عيب وإلاَّ لاستهزأ « فِرعْون » « بموسى » (عليه السلام) ، ولعيَّره بِهَذا العيب ..
- يجب على المسلم أن يعتقد في عصمة الرسل والأنبياء من كل عيب ، وسلامتهم من كل نقص ..
- وبالتالي فعلينا أن نتنبه لتحذير الله عز وجل الذي جاء في قوله : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾)[3] ..

اللهم إِنَّا نعوذ بك من كل زَيْغٍ وزَلَل ..

[1] سورة القصص آية ٣٤ . [2] سورة الزخرف آية ٥٢ . [3] سورة الأحزاب آية ٦٩ .

قول الله تعالى

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾

سورة طه

- هذان سؤالان وجوابان .. سؤال « فرعْون » الأوَّل لا بأس به ، وإن كان فيه من الإنكار ما فيه إذ قال : (رَبُّكُمَا) وكأنه ليس ربًّا له ، أو كأنه لا رَبّ له .. لذلك جاءت الإجابة واضحة جليَّة غاية في الإيجاز والإعجاز تدل على الخالق الأَوْحَد الْمُدَبِّر العَليم القدير الذي أعطى كل مخلوق شَكْلاً وخَلْقًا وأعضاء تتلاءم مع ما خُلِقَ له :
- فالوُحوش لها أنياب ومخالب .
- والطيور لها أجنحة ومناقير تختلف بحَسَب نوع الطعام الذي تعيش عليه .
- والدَّواب ، والزَّواحف وما إلى ذلك .. كُلٌّ له خَلْقٌ خاصٌّ به ، ثم أُلْهِم كيف يستخدم ما منحه الله من أعضاء مختلفة كالفَرْخ الذي أُلْهِم أن يَنْقُر البيض في الوقت المناسب ليخرج إلى الحياة ، ثم أُلْهِم كيف يلتقط الطعام ، وكيف يستخدم أجنحته في الطيران .. وهكذا ..
- فما كان من « فِرعْون » إلاَّ أن أصَمَّ أُذُنَيْه عن سماع البرهان ، وأعْمَى عينيه عن رؤية الدليل ، وتوجَّه إلى « موسى » بالسؤال عن القُرُون الماضية .. وهو سؤال يدلُّ على التَّنَطُّع والتَّعَنُّت والسَّفَاهة والجهالة ، وللأسف الشديد

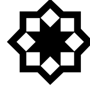
يقع بعض الناس في هذا الْمُنْزَلَق الخطير حين يسألون عن ذنب مَنْ وُلِد يهوديًّا أو نصرانيًّا ، وعن الذين يعيشون في أمريكا وأفريقيا ، وعن الذين لم تَبْلُغْهم دعوة الإسلام .. وعن هؤلاء الذين نراهم غاية في الإحسان وحُسْن الْخُلُق ، وحُلو المعْشَر وليسوا بمسلمين .. وما الله فاعل بِهِم ومعهم ؟!

- ولكل هؤلاء تأتي الإجابة الحاسمة القاطعة التي أجاب بِهَا « موسى » (عليه السلام) بوحي من الله : (عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى) .. أي إن كل شيء معلوم لله أزلاً .. لا تَغِيب عنه غائبة ولا تفوته فائتة ، هو رَبُّهم ، وهو أعلم بِهِم ..

سبحانه لا يُسْأَل عمَّا يفعل وهم يُسْأَلون ..

اللهم ارْحَمْنَا بتَرْكِ ما لا يَعْنِينَا ..

وارْزُقْنَا حُسْنَ النَّظَرِ فيما يُرْضِيكَ عَنَّا ..



قول الله تعالى

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾

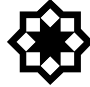
سورة طه

هذه الآية دليل واضح على خِدَاع الشيطان وكذبه .. وهي أيضًا دعوة للإنسان كي يُعْمِل عَقْلَه في وسوسة الشيطان حتى لا يقع فريسة لإغوائه .. ولكي يتأمل :

- لماذا سعى « آدم » (عليه السلام) إلى الْخُلْد ؟
- هل كان يعلم أنه سوف يموت ؟
- وهل كان الموت معلومًا لديه ، ولم يُشاهد أحدًا قد مات من قبل ؟
- ما هو (الْمُلْك الذي لا يَبْلَى) الذي سعى إليه « آدم » (عليه السلام) حين أكل من الشجرة ؟
- أكان النسيان الذي ابْتُلِيَ به « آدم » (عليه السلام) هو نسيان ما كان فيه من نَعِيم ؟
- أم نسيان تحذير الله له من الشيطان ؟
- أم نسيان ما قاله الله له في وصف حياته بالجنة ؟
- لقد وُعِد « آدم » (عليه السلام) عند إسكانه وزوجه الجنة بأمور واضحة تدلُّ على مُنتهى النعيم وهي أنه لا يَجُوع ، ولا يَعْرَى ، ولا يَظْمَأ ، ولا يَضْحَى ..
- أليس هذا هو الْمُلْك الذي لا يَبْلى بعينه ؟!

- أَلَمْ يكن « آدم » (ﷺ) يعلم أن ما عند الله لا يُدْرَك بمَعْصِيَته ؟
- وأن ما عند الله لا يُؤخذ منه قهرًا أو بالْحِيلَة ؟
- أأكل « آدم » (ﷺ) من الشجرة أوَّلاً ثم تَبِعَته « حواء » ؟!
- أم أكلت هي أوَّلاً ثم تَبِعَها هو ؟!
- أم أكلا منها معًا في وقت واحد ؟!!
- ما الذي كان يمكن أن يحدث لو انفرد أحدُهما بالأكل وامتنع الآخر عن الأكل ؟!
- تُرَى ما نوع هذه الشجرة ؟ وهل لثمارها شبيه في الدنيا ؟

سبحان الفَعَّال لِمَا يُرِيد ، ولا يَقَعُ في مُلْكِهِ إلاَّ ما يُرِيد ..



قول الله تعالى

وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾

سورة الأنبياء

هذه الآية تتكَلَّمُ عن وَزْن أعمال العباد يوم القيامة صغيرها وكبيرها ، وإن كان في حجم « حَبَّةِ الْخَرْدَل » وهي حَبَّة صغيرة جدًّا من حُبوب التوابل ، لا تكاد تُلْحَظ ، ولا يكاد يكون لها وزن .. ولعلها أصغر ما عرف الناس واستعملوا من الْحُبُوب حتى ضُرِبَ بِهَا المثل في الصغر ..

ولقد أُمِرْنا أن نؤمن بالغَيْبِيَّات من أمور يوم القيامة ومنها الميزان الذي لا نعلم كُنْهه ، ولا كيف تُوزَن به الأعمال والأقوال ..

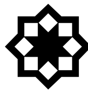
- وما يلفت النظر في هذه الآية كلمة « مَوَازِين » وهي جمع كلمة « مِيزَان » .. أفيكون تعدُّد الموازين لتعدُّد ما يُوزَن واختلافه .. فميزان للأقوال ، وميزان للأعمال ، وميزان للنِّيَّات ؟!
- كما أن الأعمال مختلفة فمنها ما هو بالجوارح كالصلاة ، ومنها ما هو بالأموال كالزكاة والصَّدَقة .. والأعمال منها الصالح ومنها غير ذلك .. وكذلك الأقوال والنِّيَّات ..
- أم إنَّ تعدُّد الموازين هو لتعدُّد الأشخاص ؟ بمعنى أن لكل شخص ميزانًا خاصًّا به :

– فمِنَ الناس من وُجِدَ في زمن الأنبياء .

- ومنهم من وُجِدَ في زمن ليس فيه أنبياء .
- ومنهم من وُلِدَ لأب وأم صالحَيْن ، ومنهم مَنْ وُلِدَ لأب وأم فاسِقَيْن .
- ومنهم مَنْ كانت لُغَتُه هي لُغَة الكتاب المنـــزل على الرسول في زمانه ، ومنهم مَنْ كانت لُغَته تختلف .
- ومنهم صحيح البَدَن ، ومنهم السَّقِيم .
- ومنهم الغَنِيّ ، ومنهم الفَقِير .
- ومنهم ذو الْجَاه ، ومنهم مَعْدُوم الْجَاه .
- ومنهم الْمُتَعَلِّم ، ومنهم الْجَاهِل .
- ومنهم ، ومنهم ، ومنهم .. أعداد لا حَصْرَ لها ، وظروف تختلف اختلافًا بَيِّنًا ، وأزمنة تنوَّعت فيها إمكانات البَشَر .

المهم أن كلمة « مَوَازِين » تُشْعِر بأن الله تبارك وتعالى هو العَدْل الْمُطْلَق ، وأن حسابه للخلائق لا يَخْتَلّ ولا يُخْطِئ وأن الإنسان لن يُظْلَم أبدًا ..

فسُبْحَان مَنْ يُحَاسِبُ الْخَلْقَ بِنَفْسِه وهو سَرِيعُ الْحِسَاب ..
اللَّهُمَّ لا تُحَاسِبْنَا بِمَا نَحْنُ لَهُ أَهْل ..
وحَاسِبْنَا بِمَا أنْتَ له أَهْل ..
أَنْتَ أَهْلُ التَّقْوَى ، وأنْتَ أَهْلُ الْمَغْفِرَة ..



قول الله تعالى

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ۝٧٨ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾

سورة الأنبياء

يلاحظ في هذه الآية أن « داود » و« سُلَيْمان » (عليهما السلام) اشتركا في الْحُكْم والعِلْم ، وتميُّز « سُلَيْمان » (عليه السلام) بالفَهْم في هذه الحادثة يشعر بأن الفهم دَرَجَة أَرْقَى من درجة العِلْم ، وأن كل فاهم عَالِم ، وليس كل عالِم فاهِمًا .. وأن الفَهْم في العِلْم مِنْحَة من الله عز وجل ، كما أن العِلْم مِنْحَة وهِبَة مِنْه عز وجل ..

وهلم بنا نتتبَّع القصَّة لنرى كيف حَكَم فيها « داود » وكيف حكم فيها « سُلَيْمان » (عليهما السلام) لنرى الفرق بين العِلْم والفَهْم :

- قوم لهم ماشية يعيشون على رَعْيِهَا في المراعي الْمُتَاحة غفلوا عنها يومًا ، فدخلت أرض قوم يعيشون على زراعتها فَأَتْلَفَت المزروعات بعد أن بلغت حَدَّ الحصاد ، فاشتكى أصحابُ الزرع أصحابَ الغَنَم إلى « دواد » (عليه السلام) ، فحكم لأصحاب الزَّرْع بأخذ الغنم عِوَضًا عما تلف من زَرْعِهِم .. ولا شك أَنَّهَا كانت متساوية القيمة حتى يكون الْحُكْم عادلاً مِمَّنْ أُوتِي الْحِكْمَة والعِلْم ..
- أما ابنه « سُلَيْمان » (عليه السلام) – وقد كان حاضرًا الجلسة — فقد رأى أن يأخذ أصحاب الزَّرْع غنم القوم يستفيدون بألبانِهَا ، وأصوافها ، ونِتَاجِها سنةً ، على أن يُسَلِّمُوا أرضَهم إلى أصحاب الغنم يُصلحونَهَا ، ويُعيدون زراعتها حتى إذا بلغت ما كانت عليه حين أتلفتها الأغنام أعاد أصحاب الزرع إلى القوم أغنامهم واستعادوا هم أرضهم ..

- من ذلك يتَّضح تفاوت الْحُكْمَيْن وتفاوت النَّتائج .. فحكم « داود » (عليه السلام) وإن كان عادلاً إلا أنه يهدِّد مستقبل أصحاب الغَنَم ويُعَرِّضُهم للهلاك .. أما حُكْم « سُلَيْمان » (عليه السلام) فيضمن لأصحاب الغنم مستقبلهم ويحملهم مسئولية غفلتهم فيعملون بجد واجتهاد لإصلاح ما فَسَد بسبب إهمالهم فهو حُكْمٌ عَادِلٌ فيه الرحمة واللُّطْف ..
- وهناك قضية أخرى لم تَرِد في الآيات وأوردتْهَا بعض كتب السَّلَف .. وهي أن امرأتين إحداهما كبيرة السن ، والأخرى صغيرة خرجتا بطفليهما للتَّنَزُّه وابتعدت المرأتان عن طفلَيْهما ، فجاء الذِّئْب فأكل أَحَدَهُمَا ، وادَّعت كل واحدة منهما أن الطفل الذي نجا هو طفلها ، واحتكمتا إلى « داود » (عليه السلام) وإذ استحال عليه معرفة الأم الحقيقية للطفل ، قضى به للكُبْرَى .. ولعلَّه رأى أن فرصة الحمل عندها ضعيفة أو معدومة ، أما الصُّغْرى ففرصتها في الْحَمْل مرة أخرى متوفِّرة ..
- وعُرِض الأمر على « سُلَيْمان » (عليه السلام) وإذ استحال عليه هو كذلك أن يعرف مَنْ منهما الصادقة ، لجأ إلى الْحِيلَة ، فأمر بوضع الطفل أمامهما وقال إنه سيقْطَع الطفل نِصْفَيْن متساويين بينهما .. وهنا صرخت الصُّغْرَى تتضرع إليه ألاَّ يفعل ، وترجوه أن يعطي الكبرى هذا الطفل ، مدَّعية على نفسها بالكَذِب .. وبذلك عَرَف « سُلَيْمان » (عليه السلام) أن الطفل هو ابن الصُّغْرَى التي خافت عليه فضَحَّت بحقِّها فيه لتضمن حياته فقضى به لها ..

وهكذا نرى الفرق بين العِلْم وبين الفَهْم ..

نسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا الفَهْم في كِتَابِه ..

قول الله تعالى

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًۭٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾

سورة الحَجِّ

هذه الآية نوع آخر من التحدِّي لكل مَنْ ينكر وجود الله عز وجل وكذلك لِمَنْ زعموا لله الولد أو اتَّخذوا من دونه آلهة .. وهي رَدٌّ حاسم قاطع على هؤلاء الذين يزعُمُون أن الأشياء وُجِدَت من أنفسها .. وينسبون وجودها إلى الطبيعة وعوامل التطور ..

وبالتأمل في هذه الآية نلاحظ ما يلي :

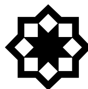
- جاء التحدِّي في صيغة حانِيَة مُرشدة تُشْعِر السامع بمدى الرعاية الإلهية للخَلْق على رغم كُفْرهم ، وإنكارهم ، وجُحُودهم .. وقد جاء المثل واضحًا جَلِيًّا مُشَاهَدًا من كل الناس .. « فالذباب » لا يخلو منه مكان وهو من المخلوقات الصغيرة الضعيفة ومع ذلك هل تستطيع معبوداتُهم من دون الله أن يخلقوا ذبابة واحدة ، ولو اجتمعوا وتعاونوا على هذا الأمر ؟!
- الأعجب أن الآية بعد أن نفت قدرة الآلهة المزعومة – سواء أكانت من البشر أم من الحجر – على خلق « ذبابة » ولو اجتمعوا لها ، تنفي قدرة الجميع على استرداد ما سَلَبَه « الذباب » منهم ..
- وما يَسْلُبُه « الذباب » شيء يسير وحقير .. فلو وقعت ذبابة على طبق من

طعام ، فمصَّت منه مَصَّة ، وتمكنَّا من الإمساك بِهَا ، هل يمكننا أن نسترد منها ما مصَّتْه وما عَلَقَ من طعامنا بأَرْجُلِها ؟!! .. والآية وإن كانت قد نزلت منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا ، إلاَّ أن التحدِّي ما زال قائمًا على رغم التطور العلميّ الهائل ، وعلى رغم المعامل والمختبرات المتطورة جدًّا ، وما فيها من أجهزة تحليل مُذهلة ، وأجهزة تكبير تُضَاعِف حجم الصورة مئات آلاف المرَّات من الحجم الطبيعي للأشياء .. مع كل ذلك ، فإن ما جاء في الآية صادق ، وواقع ، وحق ، وسيبقى كذلك إلى أن تقوم الساعة ..

- ولقد أدَّى الْمَثَل المضروب إلى حقيقة واقعة ألاَ وهي ضَعْف الطَّالِب وضَعْف المطلوب ..
- سواء أكان الطالب هو الإله المزعوم ، والمطلوب هو الذُّبَاب المراد خلقه ..
- أم كان الطالب هو الإنسان الْمُعَاند المشرك ، والمطلوب هو الإله المزعوم ..
- أو كان الطالب هو الإنسان الذي سَلَبَه الذباب شيئًا ، والمطلوب هو ما سَلَبَه الذباب من طعام وغيره ..
- أيًّا كان الطالب والمطلوب فالآية تشهد بعَجْزِ المخلوقات وضَعْفِها ، وسَفَاهَة المشركين وجَهْلِهِم ..

فهل آن للمعاندين أن يستمعوا لهذا المثل ؟!!

اللهم اجعلنا مِمَّنْ يستمعون القَوْلَ فيتَّبِعُون أَحْسَنَه ..



قول الله تعالى

أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾

سورة المؤمنون

افتُتِحَت السورة بتبشير المؤمنين بالفلاح وهو الفوز بإدراك المطلوب ، وبلوغ الغاية .. ثم عُدِّدَت صفاتُهم الحميدة ، وخُتم الحديث عنهم بِهَذا التعريف الذي لأبُدَّ أن يقف الإنسان أمامه متسائلا ومُتَأمِّلاً :

- فالميراث في المعنى الشرعي هو : ما يؤُول إلى الحي من تركة الميت .. وهو مُقَدَّر ومُحَدَّد شرعًا بالقرآن والسُّنَّة ..
- ومما يُلاحَظ في الميراث أنه يؤول إلى صاحبه بلا كَدٍّ ولا تعب ، وغالبًا ما يأتيه فجأة من دون توقُّع أو انتظار ، ولا يُنَازَع مستحقِّه في مِلْكِيَّته ..
- هلم بنا نرى كيف ينطبق هذا على الموصوفين في هاتين الآيتين الكريمتين :

أولاً : هم يدخلون الجنة برحمة الله وفضله ، لا بأعمالهم ..

ثانيًا : دخولهم يكون مُفَاجِئًا إذ إن البعث مُفاجئ ، فلا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله .. كما أن انتهاء الحساب أو الأمر بدخول الجنة لِمَنْ يدخلها بغير حساب يكون مُفَاجِئًا له ، وعلى غير انتظار فذاك يوم لا يضمن أحد فيه لنفسه النجاة ..

ثالثًا : عطاءِ الله تبارك وتعالى غير محدود .. وخزائنه لا تنضب ، وليس في الجنة تنازع بل الجميع في أُخُوَّة ومَحَبَّة وسلام قد خَلَتْ صدورهم من الغِلِّ والْحَسَد ..

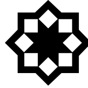
- كما أنه قد ورد أن الجنة تسع جميع الخلائق فلكل منهم فيها مكانه ،

وكذلك النار ..

فإذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ ، ودخل أهلُ النارِ النارَ .. اشتكت النار وسألت المزيد فيضيّقها الله على أهلها ، وأما الجنة فيعطى مَنْ دخلوها أماكن مَنْ حُرِمُوا منها فكأنَّهم قد وَرِثوها .. لذلك قيل عنهم (الوارثون) ..

وقد ورد في الحديث أن الله عز وجل خلق جَنَّة عَدْن بيده ، ودَلَّى فيها ثمارَها ، وشَقَّ فيها أنْهَارَها ، ثم نظر إليها فقال : (**تَكَلَّمِي**) .. فقالت : (**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون**) .. فقال : (**وعِزَّتِي وجَلاَلِي لا يُجَاوِرُنِي فِيكِ بَخِيلٌ**)[1] ..

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيم ..



[1] رواه الطبراني في المعجمين الأوسط والكبير عن ابن عباس (رضي الله عنهما) .

قول الله تعالى

﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥﴾

سورة النور

تضمَّنت سورة « النور » موضوعات تَهْتَم بالقضايا العامة التي تَهُمّ المجتمع المسلم ، وموضوعات تَهْتَم بالقضايا الخاصة التي تتعلَّق بالأُسْرَة ، فوضَّحَت الآداب الاجتماعية التي يجب أن يتقيَّد بِهَا المسلمون : كالاستئذان عند دخول البيوت ، وغَضِّ البَصَر ، وحِفْظ الفَرْج ، وعدم الاختلاط بين الرجال والنساء اختلاطًا يُؤَدِّي إلى الوقوع في المحظور .. وذكرت بعض الحدود الشرعية : كحَدِّ الزِّنَا ، وحد القَذْف ..

كما ذكرت السورة براءة السيدة « عائشة » أم المؤمنين (رضي الله عنها) من قصة « الإفك » التي أشاعها المنافقون ، ويُبْتَلَى الْمَرْءُ على قَدْرِ دِينِه ..

ولقد كانت هذه الحادثة من أشدِّ الابتلاءات التي ابْتُلِيَ بِهَا النبي (ﷺ) والسيدة « عائشة » (رضي الله عنها) ، ولقد كان هذا الابتلاء خيرًا للصحابة وللمؤمنين على مَرِّ الأزمان ليتعلموا منه ، ويعتبروا .. فإن الإشاعات من أخطر الأمور على كيان الأُسْرَة ، وكيان المجتمع .. وهي من أسلحة الشيطان التي يستغلها أعداء المجتمع المسلم ..

وإليك بعض التأملات في هذه الآية التي وصفت انتقال الإشاعة بين الناس :

- من الطبيعي أن يتلَقَّى الإنسان كلام الآخرين بأُذُنَيْه ثم ينتقل الكلام إلى العقل فيتدبَّره ويحكم عليه بالقبول أو الرفض ..

- وصفت الآية تَلَقِّي بعض الصحابة للإشاعة بالألسنة ثم التكلُّم بِهَا بالأفواه – وذلك أمر غير مُتَصَوَّر في الواقع – وكأن المقصود أن متلَقِّي الإشاعة لا يترك فرصة لعَقْله للحكم عليها ، وإنما يأخذ الكلام على لسانه ويُلقيه فورًا لغيره فتنتقل الإشاعة بين الناس بسرعة عُظْمَى من الألسنة إلى الألسنة من دون مرور الكلام على الأُذُن ، والعَقْل .. ومن دون أخذ فسحة من الوقت للتفكير في الكلام ولو للحظة ..
- هذا التصوير الْمُعْجز لانتشار الإشاعات في المجتمعات يُبَيِّن مدى انسياق الناس وراء الأخبار الْمُثِيرَة التي تتعلَّق بالآخرين وعدم تقديرهم لخطورة الأمر .. فكم من أُسَر انْهَارَت بسبب إشاعة !! وكم من قتيلة قُتِلَت بسبب إشاعة !!
- تُبَيِّن الآية أن ما يحسبه الناس مُجَرَّد كلام ، أو تمضية للوقت ، أو تسلية هو من الأمور عظيمة الإثم في حُكْم الله عز وجل ..

يقول « عبد الله بن عمر » (رضي الله عنهما) : صَعدَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) الْمنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْت رَفِيعٍ فَقَالَ : (**يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِه وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِه ، لاَ تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلاَ تُعَيِّرُوهُمْ ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيه الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْف رَحْله** [1])[2] ..

فلنتَّقِ الله في أعْرَاض النَّاس .. فإن عَيْن الله لا تَنام ..

---

[1] أي ولو كان في وسط مَنْزِله مختفيًا من الناس .

[2] رواه الترمذى كتاب البر والصلة .

قول الله تعالى

بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ﴿١٢﴾

سورة الفُرْقان

اعترض المشركون على النبي (ﷺ) لأنه بَشَر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، وزعموا أنه لو كان رسولاً حقًّا لَنَزَل إليه كَنْزٌ أو جاء معه مَلَكٌ ، أو كان صاحب بساتين تجود عليه بالثمار .. ثم زعموا أنه مَسْحُور .. وهكذا تعدَّدَت اتِّهاماتُهُم الباطلة : فمَرَّة يزعُمُون أنه ساحر ، ومَرَّة يزعُمُون أنه مسحور ، وتارة يتَّهِمُونه بالكذب ، وتارة يتَّهِمُونه بالجنون .. فجاءت الآية الأولى تُبَيِّن أن السبب وراء كل ذلك هو إنكارهم للبعث والحساب وتتهدَّدُهم بعذاب السعير .. وهو اسم من أسماء النار .. والتأمل في الآية التي تليها يُظْهِر لنا أمرًا عجبًا :

- نَسَبَت الآية إلى النار الرُّؤْيَة .. بل ونَسَبَت إليها الإدراك ، فإنَّها إذا رأت أهلها المستحقين لعذابِهَا عَرَفَتْهُم فزَمْجَرَت غيظًا منهم وغضبًا عليهم ..
- هل للنار مشاعر تشعر بِهَا فتغتاظ مِمَّن كفروا فتُعَذِّبهم بأسلوب تُنَفِّس به عن غيظها ؟!
- هل للنار لسان تتكلَّم به فتطلب المزيد من الكفار كما جاء في سورة « ق » ؟!!
- يقول رسول الله (ﷺ) : (**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**)[1] ..

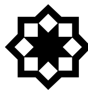
---

[1] رواه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها .

- نسبت بعض آيات القرآن الكريم الكلامَ إلى النار ، وكذلك إلى السماوات ، والأرض ، والجبال .. أفكان ذلك من قبيل المجاز اللُّغَوي أم هو حقيقة ؟!!
- قال بعض العلماء : إن الكلام يكون بلسان الحال كما يكون بلسان المقال .. وعليه فكل ما جاء في القرآن ناسِبًا الكلام أو الإدراك إلى الجمادات فهو من قبيل المجاز ، والكلام كلام لسان الحال .. أي إن حال الشيء يُنْبِئ بكذا من دون كلام ..
- وقال البعض الآخر : إن الكلام على الحقيقة وكل ما قيل وذُكِر عن الجمادات هو بلسان المقال ، وهي ذات إدْرَاك ، ولها لغتها التي لا نفهمها والتي تُعَبِّر بِهَا وتُسَبِّح بِهَا : كَلُغات الطيور والنباتات والحشرات ..
- من المعلوم أن الأصوات لها تردُّدَات مختلفة منها ما تسمعه الأُذُن البشرية ومنها ما لا تسمعه .. فهل يمكن أن تكون للجمادات أصوات فوق مستوى السمع البشري ؟!!
- الكلام عن النار في الآية يُشْعِر بأن رؤيتها رُؤية حقيقية ، وشعورها بالغيظ حقيقة فهل هو كذلك ؟! وهل تعرف الجنة أيضًا أهلها فتُسَرّ لرؤيتهم ؟!

سبحان مَنْ تُسَبِّح له السماوات والأرض ومَنْ فيهن ..

سبحان الله العظيم ..



قول الله تعالى

﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾ ﴾

سورة الفُرْقان

هذه الآية خُتِمت بِهَا سورة « الفرقان » ، وقد سبقتها آيات تصف عباد الرحمن بصفات عديدة منها :

- أَنَّهم لا يستكبرون فهم متواضعون في مشيتهم ..
- مُعرضون عن السفهاء ، لا يَرُدُّون الإساءة بالإساءة ..
- مشفقون من عذاب جهنم .. معتدلون في الإنفاق لا يبخلون ولا يسرفون ..
- لا يشركون بالله شيئًا .. ولا يقتلون النَّفْس التي حرم الله ..
- لا يزنون ، ولا يشهدون الزُّور ، ولا يشاركون الجهلاء في جهالاتِهِم ..
- لا يصُمُّون آذانَهم عن استماع النُّصْح .. يدعون الله دائمًا لأنفسهم ولأزواجهم ولذرياتِهِم ، فاستحقُّوا البُشْرَى التي بشَّرَهم الله بِهَا وهي سُكْنَى الغُرَف التي ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم في السماء ..

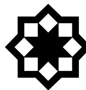
ثم تأتي هذه الآية ختامًا للكلام ويُلاحَظ بتأمُّلها الآتي :

- كلمة (ما يعبأ) يعني : ما يُبَالِي .. فلا وزن ولا قَدْر لِمَن لا يعبأ به .. وعلى ذلك فقد يكون المقصود : أن الله لا يبالي بالخلق ولا يعبأ بِهِم لولا أنه دعاهم لعبادته ..
- وقد يكون معنى الدعاء : العبادة ، ويصبح المعنى : لا يعبأ الله بالناس لولا

عبادة العابدين .. ثم يُوَجَّهُ الخطاب للمكذِّبين بالتهديد باللزام وهو العذاب الملازم لهم يوم القيامة ..

- ويُحتَمل أن يكون المعنى : أن الله لا يبالي بكم لأنكم كذَّبتم لولا استغاثتكم به في الشدائد فيكشف عنكم ما تدعونه إليه في الدنيا ويُؤَجِّل عذابكم إلى يوم القيامة ..
- وتحتمل الآية أيضًا معنى آخر وهو : ما يصنع الله بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة .. أى إن الله لا يريد عذابهم لغير سبب ، ولكنه كَتَبَ عليهم العذاب بسبب كُفْرهم به ، وعبادتهم آلهتهم التي اختلقوها لأنفسهم ..
- في كل الأحوال تتَّضح لنا أهمية الدعاء والطلب والسؤال إذ إن الدعاء يعني أن الداعي يؤمن بوجود الله القادر على إجابة الطلب ، ويعني الإقرار بضعف الداعي وافتقاره إلى الله .. لذلك كانت إجابة الله للكفار والمشركين إذا دعوه حين يمسُّهم الضر بكشفه عنهم على رغم علمه بأنَّهم سيعودون إلى الشرك والكفر بعد نجاتِهِم .. ولذلك قيل : **إنَّ الدُّعَاء مُخُّ العِبَادَة ..**

فإيَّاكَ أن تغفل عن الدعاء والطلب ..
فإن الله تعالى إذا سُئِل أَعْطَى وأجاب ..
وإذا لم يُسْأَل غَضِب ..



قول الله تعالى

فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾

سورة الشعراء

أرسل الله « موسى » وأخاه « هارون » (عليهما السلام) إلى « فرعون » وقومه ، وأيَّدهما بالْمُعْجِزَات الباهرة ، والدَّلائل الواضحة ، والْحُجَّة البالغة .. والْمُتَتَبِّع للحوار الذي دار بين « موسى » (عليه السلام) و« فرعون » يرى كيف أن الباطل لَجْلَج وأن الحق أَبْلَج .. فقد كانت حُجَّة « موسى » (عليه السلام) واضحة وضوح الشمس في التعريف بربِّه عز وجل .. ولو كان « فرعون » مُنْصِفًا لنَفْسِهِ لآمن دون احتياج إلى مُعْجزة العصا أو معجزة اليد .. وما كانت المعجزات سببًا لإيمان الكفار ، ولكنها كانت لإلزامهم الْحُجَّة حتى لا يكون لكافر عُذْر ..

ومع ذلك فقد ظهرت معجزة « موسى » (عليه السلام) على احتيال السَّحرة وخداعهم مما اضطرَّهم إلى الخضوع والإقرار بالحق ، والتَّمَسك به على رغم تَهْديد « فرعون » لهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم ، وبصَلْبهم في جذوع النخل ..

وعدم إيمان « فرعون » على رغم كل ذلك يُبيِّن مدى ضلاله واستكباره عن الحق وعناده وجبروته .. وحين خرج « موسى » (عليه السلام) بقومه من « مصر » سِرًّا ، وعلم « فرعون » بخروجه لم يستسلم بل جيَّش الجيوش وتبع « موسى » (عليه السلام) للقضاء عليه وأدركه فعلاً عند شاطئ البحر .. وهنا استغاث « موسى »

(عليه السلام) بربِّه فأمره بضرب البحر بعصاه فانشقَّ نصفين ، وأوقف الله سُنَّة جريان الماء فارتفع كُلُّ شِقٍّ كأنه حائط ، وأصبح الطريق ممهدًّا لعبور « موسى » (عليه السلام) وقومه بين حائطين من الماء ، كل حائط في ارتفاع الجبل الشاهق ..

والسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان :

- حين رأى « فرعون » وجنودُه هذه الْمُعْجِزة الْمُبْهرة كيف لم يؤمنوا ؟!
- كيف قرَّر « فرعون » أن يتبع « موسى » (عليه السلام) في الطريق الناشئ بين الماءين ؟ والعقل .. أَيُّ عقل يقول :
- إما أن « موسى » (عليه السلام) رسول الله حقًّا وما حدث من انفلاق البحر حقيقة واقعة تدل على تأييد الله وحفظه لرسوله مما يدعو إلى التسليم له ، أو على الأقل عدم التعرُّض له وتركه لسبيله ..
- وإما أن ما يراه « فرعون » من انفلاق البحر هو تخييل سحر وليس بحقيقة واقعة .. وفي هذه الحالة يكون اقتحام البحر نوعًا من الجنون لأن ما يراه طريقًا يابسًا ما هو إلا بحر خِضَّم ..
- إذا كان « فرعون » قد فقد عَقْلَه ، وانعدم تمييزه فما بال جنوده الذين ساروا وراءه ؟!
- الأمر يدعو إلى التفكُّر والتأمُّل .. ولا تفسير لهذا الموقف الْمُحَيِّر إلا أن يكون الله عز وجل الغالب على أمره قد أعمى « فرعون » وجنوده ، وسَلَبَ منهم العقل والسمع والبصر لِيَنْفُذَ فيهم وَعيدُه وقضاؤه ..

وسبحان الفَعَّال لِمَا يريد ..

الذي إذا أراد أمْرًا فإنَّمَا يقول له كُنْ فَيَكُون ..

قول الله تعالى

أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾

سورة الشعراء

أرسل الله تبارك وتعالى رسولَه « هُودًا » (عليه السلام) إلى قوم « عاد » ، وكانوا يسكنون منطقة « الأحقاف » التي تُعْرف اليوم « بحضر موت » ..

وقد قيل إنَّهم كانوا عظام الأجسام ذوي قُوَّة بَدَنِيَّة خارقة وكانوا في مجتمع كَثْرة ووَفْرة ، فأبطرتْهُم النِّعْمة ، وأفسدوا في الأرض ، ولم يكن لهم هَمٌّ إلا اللهو واللعب والاستمتاع بملاذ الحياة ..

وقد نصحهم أخوهم « هود » (عليه السلام) ، وخوَّفهم عذاب الله فلم يستمعوا لنُصْحِه فأهلكهم الله بالريح التي سلطها عليهم مُدَّة ثمانية أيَّام فلم تترك منهم شاردًا ولا واردًا ، وأصبحوا خبرًا بعد عين ..

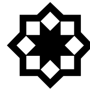
ولقد جاءت قِصَّتُهُم في أكثر من موضع في القرآن بصيغ مختلفة كلها تَدُلُّ على أنَّهم كانوا جبَّارين عُتَاة .. ولكن القِصَّة التي جاءت في سورة « الشعراء » بِهَا إضافة تدعو إلى التأمُّل :

- يتَّضح من هاتين الآيتين أنَّهم كانوا يبنون الصروح العظيمة في الأراضي الواسعة الفضاء من أجل العَبَث واللهو .. ولعلها كانت ساحات للرقص ، ومسارح للهو كما نرى في بعض الآثار الفرعونية والرومانية ..
- يبدو أنَّهم كانوا على حضارة عِلْمِيَّة متطوِّرة وفائقة إذ إن التعبير ببناء المصانع للخُلُود يُشْعِر بأنَّها كانت شيئًا خاصًّا غير معتاد .. ولقد حفلت كتب التفسير بالكلام عن هذه المصانع من حيث ضخامتها وفخامتها ،

وأنَّها كانت متينة مما يُشْعِر ساكنها بأنه سوف يعمرها إلى الأبد .. والآن بعد أن تم اكتشاف الأجهزة التعويضية ، والمفاصل والأطراف الصناعية ، وعمليات زرع الأعضاء وما إلى ذلك .

- ألا يحتمل أن يكونوا قد وصلوا في علوم الطب إلى درجة تُمكِّنهم من زرع الأعضاء المختلفة ، واختراع المواد التي تجعل الجسم لا يرفضها ..
- من العلوم الحديثة علم الهندسة الوراثية .. والذي يتيح للعلماء التحكُّم في الصفات الوراثية للأجنَّة ، والتهجين وما إلى ذلك .. فهل وصلوا إلى هذه العلوم الحديثة ..
- ألا يمكن أن تكون مصانعهم قد شُيِّدت من أجل ذلك .. إذ إن التعبير الوارد في الآية لم يَرِد مُطلقًا إلا في شأن « عاد » التي قيل إنه : (لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ)[1] ..

سبحان الْخَلاَّق العَظِيم ..



---

[1] سورة الفجر آية ٨ .

قول الله تعالى

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾

سورة النمل

لا شك أن الله تبارك وتعالى مَنَحَ « سُلَيْمان » (عليه السلام) من الْمُلْك ما لم يُمْنَحْ أَحَدٌ من قَبْله ، ولن يُمنَحهُ أَحَدٌ من بعده ، استجابةً لدعائه بقوله : (وَهَبۡ لِى مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِىٓ)[1] .. فقد علَّمه الله منطق الطير وسخَّر له الريح ، وسخَّر له الجن ..

ولقد سمع « سُلَيْمان » (عليه السلام) كلام « النملة » لقومها وذلك غير مُسْتَبعد ولا مُسْتَغرب .. ولكن الذي يدعو إلى التساؤل هو :

- كيف عَرَفَت « النملةُ » « سُلَيْمانَ » (عليه السلام) ؟ وكيف عرفت أن مَنْ معه هم جنوده ؟!
- هذا الإشفاق على النمل من نملة .. أكانت مَلِكتَهم ، أم كانت نملة عادية ؟!
- كيف عرفت « النملة » أن « سُلَيْمان » (عليه السلام) وجنوده سوف يحطمونَهُم في حالة عدم شعورهم بوجود النمل في طريقهم ؟! وهل معنى ذلك أن « سُلَيْمان » (عليه السلام) لو تنبَّه لوجود النمل لأوقف جيشه عن المسير ؟!
- لماذا ضحك « سُلَيْمان » (عليه السلام) من قول « النملة » ؟! أكان ذلك

---

(1) سورة ص آية ٣٥ .

سرُورًا بشهادتِهَا له بالرحمة والعَدْل ؟ أم كان سرورًا بفضل الله عليه إذ لم يسمع كلام « النملة » أحدٌ سواه ؟ أم كان تعجُّبًا من حِرْص « النملة » على حياتِهَا وحياة قومها ؟!!

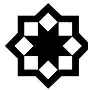
- أكانت « نملة » خاصة في زمن « سُلَيْمان » (عليه السلام) الذي كان زمنًا خاصًّا أم إن للنمل عمومًا إدراكًا ومعرفة ؟!
- هل كان « النمل » مُسَخَّرًا « لسُلَيْمان » (عليه السلام) كما كان الطير مُسَخَّرًا له ؟!
- يَلْفِت النظر تضرُّعُ « سُلَيْمان » (عليه السلام) إلى الله بعد سماعه كلامَ « النملة » أن يرزقه الشكر على النِّعَم ويوفِّقه للعمل الصالح ويجعله برحمته في زُمرة الصالحين .. ولم يتفاخر بقُدرته على فهم لُغَة النمل ، أو قوة سمعه الخارقة ، بل تواضع لله عز وجل ..

وهكذا سلوك الأنبياء والصالحين تجاه النِّعَم فهي لا تشغلهم عن رؤية الْمُنْعِم ، فهم يستخدمونَهَا في طاعة الله ، ولا ينسبونَهَا إلى أنفسهم ..

اللهم ارزقنا الشُّكْرَ على نَعْمائكَ .. والصَّبْرَ على بَلائِكَ ..

واستعملنا بأَحَبِّ الأعْمَال إليك ..

التي تُقَرِّبنا إليك زُلْفَى .. وتبعدنا عن سخطك بُعْدًا ..



قول الله تعالى

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ
يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾

سورة النمل

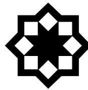
هذه الآيات التي تحكي كلام « الْهُدْهُد » « لسُلَيْمان » (عليه السلام) هي من الآيات التي تستوقف الإنسان كلما مَرَّ عليها لما فيها من عجائب ..

وإليك بعض التأمُّلات :

- جرأة « الْهُدْهُد » على « سُلَيْمان » (عليه السلام) بزعمه أنه علم ما لم يعلمه « سُلَيْمان » (عليه السلام) .. أكان ذلك خوفًا من العقاب الذي توعَّده به لتأخُّره فأراد أن يفاجئَهُ بِهَذا الأسلوب حتى يُنْصِت له ؟!
- تُرَى أكان « الْهُدْهُد » مُكَلَّفًا من قِبَل « سُلَيْمان » (عليه السلام) بالذهاب إلى « سبأ » والإتيان بالأخبار ؟ أم كان ذلك بِمَحْض الصُّدْفَة أثناء طيرانه في الأجواء ؟!
- كيف ميَّز « الْهُدْهُد » الْمَلِكَة من الرَّعِيَّة ؟ وكيف عرف أَنَّها امرأة ، وكيف عرف اسم البلد ؟!
- كيف عرف أَنَّها أُوتِيَت من كل شيء ؟ وهل كان يشير بذلك إلى جمالها وصباها ، وذكائها وفطنتها ، وخضوع الكل لها ، وغناها وثروتِهَا ؟!
- كيف عرف « العَرْشَ » وعرف أنه عظيم ؟!

- كل ذلك هو مما يُرَى بالعين أما ما يُدْرَك بالعقل فذلك الأعجب والأغرب في شأن هذا « الْهُدْهُد » إذ إنه قرَّر – كما حكت السورة – أن الْمَلِكَة وقومها يعبدون الشمس !! وأن الشيطان صدَّهم عن السبيل القويم وأضلَّهم ، بل وتعجَّب « الْهُدْهُد » من عدم معرفة هؤلاء القوم بالله الذي يخلق كُلَّ شيءِ من العدم ، ويعلم كل شيءِ في الوجود سواء أكان ظاهرًا أم باطنًا !!
- ينتهي كلام « الْهُدْهُد » ، فيكلِّفه « سُلَيْمان » (عليه السلام) بالطيران برسالته إلى الْمَلِكَة ، ومراقبة تَصَرُّفها وقومَها إزاء هذه الرسالة ثم العودة بالْخَبَر .. مما يدل على ثقة « سُلَيْمان » (عليه السلام) في صدق « الْهُدْهُد » وحُسن تقديره للأمور ..
- تُرَى ما هذا « الْهُدْهُد » ؟! وهل كان متفرِّدًا بذلك دون باقي أفراد جنسه ؟! وكيف كان له هذا العقل والتدبير والمنطق ؟!
- أهذا هو شأن ذلك الطائر على وجه الخصوص ، ونحن لا نشعر بذلك ولا ندري ؟! أم إن الْمُلْك الذي وهبه الله « لسُلَيْمان » (عليه السلام) كان من ضمنه مخلوقات عجيبة « كالنملة » ، و« الْهُدْهُد » ، والذي جاء « بالعرش » في طرفة عَيْن ؟!!

سبحان مَنْ يُؤْتي الْمُلْكَ مَنْ يشاء ..
ويَنْزِع الْمُلْكَ ممَّنْ يشاء ..



قول الله تعالى

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ ﴾

سورة القصص

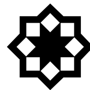
هذه الآية من سورة « القَصَص » تحتوي على أمرين ، ونَهْيَيْن ، وبشارتين .. أمر بإرضاع « موسى » (الطَّيْلاً) ، وأمر بإلقائه في اليَمِّ ، ونَهْي عن الخوف ، ونَهْي عن الحزن ، وبشارة بإعادة « موسى » (الطَّيْلاً) إلى أمه ، وبشارة بِجَعْلِه من الْمُرْسَلين ..

- ويلفت الأمر بالإرضاع نظرنا .. لأن إرضاع الأم لوليدها أمر غريزي سواء في الإنسان أو الحيوان .. فهل كانت « أم موسى » محتاجة إلى أمر من الله كي تُرْضِع وليدها ؟!!
- يقول المفسرون : إن الأمر بالإرضاع معناه أن تبقيه لديها ما أمنت عليه فإذا شعر به أحد وخافت عليه من « فرعون » أَلْقَتْه في اليَمِّ ..
- أَلَمْ يكن من الممكن التعبير بلفظ آخر مثل (أمسكيه) ، أو (احفظيه) .. وهناك من الألفاظ العربية الكثيرة التي تُعَبِّر عن المعنى المراد ؟!
- هل لنا أن نتساءل عن الفرق بين أن ترضع « أم موسى » ابنها بالغريزة وبين أن ترضعه تنفيذًا لأمر الله .. أي طاعة لله ؟!!
- ربما لو أرضعت « أم موسى » وليدها بالغريزة الطبيعية لجاع بعد ساعتين أو ثلاث على الأكثر ، ولَصَرَخ طالبًا الرِّضَاع !!

- الْمُدَّة من لحظة وضع « موسى » (عليه السلام) في « التابوت » ، والسير به إلى شاطئ النهر ، وإلقائه في الماء ، ثم وصول « التابوت » إلى قصر « فرعون » ، وانتقاله من يَدِ مَنْ عثر عليه إلى أيدي غيره من الْحُرَّاس أو الْحُجَّاب وهكذا حتى وصل إلى « فرعون » وامرأته .. هذه المدة كم بلغت من الساعات ؟!!
- طوال رحلة « موسى » (عليه السلام) حتى وقع في يد امرأة « فرعون » لم يشعر به أحد مما يعني أنه لم يصرخ و لم يبك ..
- فرحت امرأة « فرعون » به ، وقرَّر « فرعون » استبقاءَهُ وأحضر له المراضع الواحدة تلو الأخرى ، و« موسى » (عليه السلام) يرفضهن جميعًا إلى أن جاءت أُمُّه على أنَّها إحدى المرضعات فتقبَّلها الرضيع .. طوال هذه الْمُدَّة لم يشعر « موسى » (عليه السلام) بالجوع وإلا لبَكَى وصرخ ولاستاء منه « فرعون » !!
- التفسير المنطقيّ لهذا هو أن الرضعة التي رضعها « موسى » (عليه السلام) قبل إلقائه في اليم ، كانت رضعةَ طاعة لله ، فكان فيها الكفاية طوال تلك الساعات التي استغرقتها رحلته حتى عاد إلى حضن أمِّه ..
- إذا كان الأمر كذلك فإن طاعة الله عز وجل – مهما كان فيها من مشقَّة – لا يمكن أن تَضُرَّ بالصحة بل هي تفيد الجِسْم .. لأن الله تبارك وتعالى هو الخالق للجِسْم وهو أعلم بما يُصْلحه وما يُتْلِفه ، فأباح ما يُفِيد ، وحَرَّم ما يَضُرّ ..
- لقد أمر الله عز وجل نَبِيَّنا (صلى الله عليه وسلم) بقيام الليل إلا قليلاً ، ولا يمكن أن يكون السَّهر في الصلاة وقراءة القرآن يضر بصحته ، وإلا ما أمره بذلك وهو أحب الْخَلْق إليه !!

- لقد أَثْنَى الله تبارك وتعالى على عباده الذين كانوا قليلاً ما يَهْجَعُون ، ويقضون الليل يُسَبِّحون ويستغفرون ..
- لاحظنا أن « موسى » (عليه السلام) لم يجد الجوع والتَّعَب في رحلته للقاء « الْخَضِر » إلا بعد أن جاوز المكان !!
- ينصح الأطباء الناس بالنوم باكرًا والاستيقاظ باكرًا ، ويقولون إن السهر يضر بالصِّحَّة ..
- مما سبق يتَّضح أن السهر في الطاعة يفيد الجسم ويصححه ، والسهر في المعصية يضر بالجسم ويتلفه .. وعليه فكل مجهود يبذل في طاعة الله ، والسعي إلى الخير يتواءم مع البدن ويتلاءم معه ، وكل مجهود يبذل في معصية الله ، والسعي في الشر لا يتواءم مع البدن ولا يتلاءم معه ..
- ما ينطبق على المجهود ينطبق على الطعام والشراب .. فكل طعام وشراب اكْتُسِب من حلال يفيد الجسم ويصلحه ، وكل طعام وشراب اكْتُسِب من حرام يضر الجسم ويمرضه ..
- كذلك الأموال كلما كانت من مصدر مشروع أُلْهِمَ صاحبُها أن ينفقها فيما يجب ويباح .. وكلما كانت مكتسبة من حرام تم إنفاقها فيما لا يصح ولا يباح ..

وسبحان مَنْ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَه ثم هَدَى ..



قول الله تعالى

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾

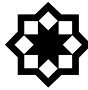
سورة الأحزاب

لقد أثارت هذه الآية جَدَلاً كبيرًا بين العلماء وتعدَّدت أقوال المفسرين فيها سواء منهم السَّلَف أو الْخَلَف .. وبالتأمُّل فيها تثُور التساؤلات الآتية :

- كيف كان العَرْض ؟ وأين كان العَرْض ؟!
- أيُعْتَبَر الكلام مَجَازًا بمعنى أنه ضَرْبُ مَثَل ؟! أي : إن السماوات والأرض والجبال على عِظَم حجمها لو كانت بحيث يجوز تكليفها لثقُلَ عليها القيام بالشرائع لما فيها من الثواب والعقاب .. أم إن الكلام يُعَبِّر عن حقيقة حدثت ؟!!
- الأمانة هي : العقل .. الاختيار .. الحواس .. وظائف الدين .. التكاليف الشرعية والفرائض .. أمانة الأموال كالودائع .. الجوارح والفروج .. تلك أقوال شَتَّى فأيها الصحيح ؟! أم إن كلها صحيح ؟!
- رفض السماوات والأرض والجبال لحمل الأمانة لم يكن رفض عصيان وإنما كان رفض عَجْز وقُصُور .. فهل كان لديها الإدراك الكافي لذلك ؟!!
- كيف حمل الإنسان الأمانة ؟ أتُراها عُرِضت عليه كشيء مادي محسوس فحملها ؟ أم إن عرضها كان عرضًا لمواصفاتِها وللمطلوب من أجلها فتعَهَّد بالقيام بحقِّها ؟!

- مَنْ هو الإنسان المقصود في الآية ؟ أهو « آدم » (عليه السلام) ؟ أم هو جنس الإنسان مُمَثَّلاً في كل الناس .. بمعنى أن الجميع قد عُرِضَ عليهم ذلك العَرْض كما حدث يوم إشهادهم على أنفُسِهم في عالَم الذَّرِّ ؟
- ما الذي دعا الإنسان لحمل الأمانة ؟ هل كانت هناك مُغْريات ؟ هل هو جَهْلٌ بقَدْرِ نَفْسِهِ ؟ هل هو عدم تقدير لخطورة الأمانة الْمَعْرُوضة ؟
- أكان من الممكن أن يرفُض كما رفضت السماوات والأرض والجبال ؟! أم إن قبوله كان قضاءً مَحْتُومًا ؟!!
- وصف الإنسان بالظلم والجهل .. أهو وصف عام ؟ أي إنه ظالِم لنفسه ، جاهل بقدرها وضعفها وعدم قدرتِهَا على حمل الأمانة ؟! أم هو وصف للذي خان الأمانة من الناس .. فهو ظالِم لنفسه بتعريضها للعِقَاب جاهل بربِّه ، أم إنه ظالِم للأمانة بحملها إذا لم يقم بحقِّها .. جاهل بعاقبة ذلك ؟!!

نسأل الله السَّتْرَ والسَّلاَمَة ..
وأن يجعلنا أهلاً لحَمْل الأمانة ..
وأن يَعْصِمَنا بفَضْلِه من الْخِيَانَة ..



قول الله تعالى

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

سورة سبأ

- لقد وَهَبَ الله تبارك وتعالى « لسُلَيْمان » (عليه السلام) مُلْكًا لم يهبه لأَحَد من بعده .. فقد سخَّر له الريح تحمله حيث يشاء ، ومسيرتُهَا في غدوة تساوي مسيرة الرَّاكب شهرًا بمعنى أنَّها تحمله في مدة ساعة من النهار مسافة يقطعها المسافر العادي في شهر .. وكذلك هي تأتمر بأمره فتمطر حيث يشاء .. وعلَّمه لغة الطير ، وأسمعه كلام النَّمْل .. وأعطاه من الأسباب ما استطاع به أن يأتي بعَرْش « بلقيس » من اليمن إلى الشام في طرفة عين .. وسخَّر له الشياطين والْمَرَدة يغوصون في البحار ويأتونه من كنوزها بما يشاء ، ويبنُون له المعابد وينحتون له من التماثيل ما يشاء .. وسلَّطه على العصاة من الجن ليعَذِّبَهُم كيف شاء ..

ذلك بعض ما وهبه الله من مُلْكٍ .. بالإضافة إلى ما وهبه من نُبُوَّة وحُكْم وعِلْم .. وبالتأمل في هذه الآية يتضح الآتي :

- كان « لسُلَيْمان » (عليه السلام) مكان عال يشرف منه على مملكته قيل إنه كان مصنوعًا من زجاج شفَّاف ..
- كَلَّف « سُلَيْمان » (عليه السلام) الجن بأعمال مُهِينَة عِقَابًا لهم ..
- جاء الموتُ « سُلَيْمانَ » (عليه السلام) وهو واقف في شرفته مستندًا إلى عصاه يشرف على الجن وهم يعملون .. فجاءت حشرة الخشب تنخر عصاه حتى

تخلخلت فتفتَّتَت ووقع « سُلَيْمان » (عليه السلام) على الأرض ..

- من المعلوم أن أجساد الأنبياء لا تَبْلى .. فعلى رغم أن « سُلَيْمان » (عليه السلام) قد مات إلا أن هيئته لم تتغير ، وظن الذين يرونه من الجن أنه على قيد الحياة ، و لم يتبيَّنوا موته إلا بعد أن سَقَطَ على الأرض و لم يَقُم ..
- الْمُدَّة التي استغرقتها دابة الأرض (الأرضة) في أكل العصا لا تقل عن أيام بأي حال إن لم تكن شهورًا !!
- اجتراء دابة الأرض على أكل عصا « سُلَيْمان » (عليه السلام) – الذي عرفته النملة وسمع كلامها – يدل على أنَّها كانت مأمورة بذلك ، أو أنَّها عرفت بموته بطريقة ما ..
- عدم معرفة الجن بموت « سُلَيْمان » (عليه السلام) طوال مدة وقوفه مُتَّكِئًا على عصاه منذ لحظة وفاته إلى أن سقط على الأرض على رغم رؤيتهم له يدل على عدم معرفة الجن بالغَيْب .. وذلك ما قرَّرته الآية حكاية عنهم ..
- الغيب لا يقتصر على ما يحدث في المستقبل فقط ، بل الغيب هو كل ما غاب عن الحواس سواء أكان مُسْتقبلاً أم حاضرًا أم ماضيًا .. فإن موت « سُليمان » (عليه السلام) كان (حاضرًا) لحظة موته ثم أصبح (ماضيًا) عندما جاءت الحشرة تنخر عصاه ، ومع ذلك لم تتبيَّن الجن موته (عليه السلام) إلا بعد سقوطه ..
- الادِّعاء بأن الجن يَعْلَم الغيب إدِّعاء كاذب يعارض إقرار الجن الذي ورد في الآية ، ومَن ادَّعى ذلك فقد كَذَّبَ القرآن وكَفَرَ بما جاء فيه من أن الغيب لا يعلمه إلا الله ..
- لم يُسَخَّر الجن إلا « لسُلَيْمان » (عليه السلام) و لم يحدث أن سُخِّر لغيره من

الأنبياء الذين جاءوا من بعده فضلاً عن عامة الناس .. ومن ادَّعى قُدْرته على الاتِّصال بالجن أو رؤيته لهم والكلام معهم أو تسخيرهم لخدمته إما كاذب مجترئ على الله ، أو في عقله شيء من الخلل ..

- الذين يُصَدِّقون المشعوذين والدَّجَّالين فيذهبون إليهم لقضاء حوائجهم عن طريق الجن جاهلون بدينهم آثمون مُؤَاخذون يوم القيامة على ذلك ..
- ادِّعاء الْمَسّ من الجن أو اللبس ، وادِّعاء القدرة على إخراج الجن من جَسَد الممسوس أو الملبوس دجل وشعوذة يُعَاقب مرتكبها عليها عقاب المفترين ..
- ادِّعاء التَّزَاوج بين الجن والإنس ، أو حُبّ القَرين للفتاة ومَنْعُه لها من الزواج ادِّعاء يُؤَدِّي بصاحبه إلى الشِّرْك بالله .. لأن معنى ذلك أن الجن قادر على إيقاف قضاء الله ، أو التدخُّل في تدبيره ، إذ إن الزواج ينشأ عنه ذُرِّيَّة ، والذُّرِّيَّة خَلْقٌ ، والخالق هو الله .. فإذا قَدَّر خَلْق أَحَدٍ فكيف يمنع مخلوقٌ ذلك القَدَرَ من الجِن كان أو من الإنس ؟!!
- قد علمنا من ديننا أن الجن يرانا ونحن لا نراه ، وأنه مخلوق من النار ، وأن الإنس مخلوق من الطين أي إن مادة الخلق مختلفة تمامًا .. وأن الجن منه المسلم ومنه الكافر وأنه يموت ، وأنه لا سلطان له على الإنس إلا بالدَّعْوَة إلى العصيان عن طريق الوسوسة .. والوسوسة فقط ..

من هنا كان على المسلم أن يتَّقِيَ الله في نفسه .. وأن يعلم أمور دينه ولا ينساق وراء مَنْ أضلَّهُم هَواهُم من الدَّجَّالين والمشعوذين .. وأن يلجأ إلى الله عز وجل الذي يَمْلِك كل شيء .. ويَقْدر على كل شيء ، وبيده ملكوتُ كل شيء ..

وسبحان مَنْ لا يَسُوق الْخَيْرَ إلا هو .. ولا يَصْرِف السُّوءَ إلا هو ..

قول الله تعالى

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٤٤﴾

سورة الصَّافَّات

أرسل الله عز وجل « يُونُس » (عليه السلام) إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده فكذَّبُوه فتوعَّدهم بعذاب يأتيهم بعد ثلاثة أيام ، وتركهم وخرج من قريته من دون أن يأذن الله له في ذلك ، واعتقد أن العذاب آتيهم لا محالة ، ولم يعلم أن الله قد وفَّقهم للإيمان بعد خروجه فآمنوا جميعًا .. وانطلق هو إلى شاطيء البحر فوجد سفينة فركبها ، وهاج البحر وماج فاقترح أصحاب السفينة إجراء قرعة بين الركاب ومَنْ خرج اسمه في القرعة أُلْقِيَ في البحر لعل الباقين تكتب لهم النجاة ..

فخرج سَهْم « يُونُس » (عليه السلام) في القرعة وأُلْقِيَ في البحر فكان (الحوت) في انتظاره بأمر الله فابتلعه ، وطاف به في أعماق البحار والمحيطات مُدَّة لا يعلمها إلا الله .. ثم قذفه – حين أذن الله له – على الشاطيء مريضًا .. فأنبت الله عليه شجرة من يَقْطِين [1] يأكل منها حتى يستردَّ صِحَّته وأنبأه أن قومه آمنوا فعاد إليهم ..

تلك نبذة مختصرة عن قصة « يُونُس » (عليه السلام) .. وقد اختلف العلماء في تقرير مُدَّة بقائه في بطن (الحوت) ..

وبالتأمل في تلك الآيات تثور التساؤلات الآتية :

- كيف عاش « يُونُس » (عليه السلام) في بطن الحوت ؟! وكيف لم يُهْضَم كما يهضم الطعام ؟!
- كان يُسَبِّح ويستغفر في بطن الحوت فيقول : ﴿أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ

[1] يَقْطِين : قَرْع .

إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ)[1] .. فقد أحسَّ بخطئه حين تَرَكَ قومه من دون إذن من الله .. أفكان التسبيح باللسان ؟! وكيف كان ذلك وبطن الحوت مليئ بالطعام والماء والعصارات المعدية المختلفة ؟! أم كان بالقلب ؟ أم أفرغ الله بطن الحوت من كل شيء إلا الهواء ؟!

- الآيات تقرِّر أن نجاة « يُونُس » (عليه السلام) كانت بسبب تسبيحه واستغاثته بالله وإلا لبقى في بطن الحوت إلى يوم القيامة .. فهل معنى ذلك أن الحوت سوف يبقى إلى يوم القيامة من دون أن يموت ويتحلَّل ؟! وهل معنى ذلك أن « يُونُس » (عليه السلام) – لو كان بقى في بطن الحوت – لم يكن ليتحوَّلَ إلى طعام يُهْضَم ، وأنَّ جسدَهُ كان سيبقى سَلِيمًا إلى يوم البعث ؟!
- إذا كان الأمر كذلك فإن هذا يؤَكِّد أن أجساد الأنبياء لا تَبْلَى مطلقًا ولا يمكن أن يأكلها الدُّود كأجساد الناس فضلاً عن أن تأكلها الوحوش أو الأسماك .. تُرى ، أكان هذا (الحوت) حوتًا خاصًّا خُلِقَ لهذه المناسبة فقط ، أم كان حوتًا عاديًّا أوقف الله سُنَّةَ الهضم بالنسبة إليه ؟!
- نتبيَّن من الآيات فضل التسبيح وأنه سبب للنجاة من الشَّدَائِد والْمَكَارِه ، كما نتبيَّن فضل الاعتراف بالذنب ، وأن مَن اعترف بذنبه غُفِر له ، فالتائب من الذنب كمَنْ لا ذنب له ..
- يتضح لنا أن الكمال لله عز وجل ، وأن عصمة الأنبياء بعصمة الله لهم ..

فسبحان مَنْ يقبل التَّوْبَة عن عباده ويعفو عن السيئات ..

[1] سورة الأنبياء آية ٨٧ .

قول الله تعالى

وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ

سورة ص

تحكي الآيات قصة شخصين دخلا على النبي « داود » (عليه السلام) يحتكمان إليه وكان مَلِكًا على « بني إسرائيل » فحدث منه في الْحُكْم بينهما ما دعاه للسجود مستغفرًا تائبًا فغفر الله له ، ورفع مقامه وبيِّن له أن مَنْ جعله الله خليفة في الأرض فعليه أن يحكم بالعَدْل ولا يتَّبع الْهَوَى في تقدير حكمه ..

ولقد حفلت بعض كتب التفسير بإسرائيليات تتحدث عن هذه القصة بما يُخل بجلال النبوة وبمقام « داود » (عليه السلام) الذي أعطاه الله الْمُلْك والحِكْمَة والعِلْم ، وهذا دأب « بني إسرائيل » مع أنبيائهم فتارة يقتلونَهُم ، وتارة يكذِّبونَهُم ، وتارة يتَّهمونَهُم بتُهَمٍ لا ينبغي أن تلصق بالأشخاص العاديين فضلاً عن أنبياء الله الصالحين ..

وبالنظر في الآيات – دون التأثر بما رُوِيَ في الحكايات – نلاحظ ما يلي :

- دخول الخصمين على « داود » (عليه السلام) وهو نبي ومَلِك بتسلُّق الجِدَار وعدم الاستئذان أفزعه .. وهذا يلفت النظر إلى سُوءِ أَدَبِهِمَا ، وعظيم حِلْم « داود »

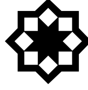
(عليه السلام) ، وإلى أن الفزع غريزة بشرية لا يخلو منها الأنبياء ..

- طلبُ الخصمين من « داود » (عليه السلام) أن يحكم بينهما بالحق ولا يُشْطِط فيه من التطاول على مقام النبوة ما لا يخفى .. إذ لا يُعقل أن يكون هناك شطط في حكم نبي من الأنبياء ..
- يقرِّر أحد الأخوين أنه يملك نَعْجَة واحدة وأن أخاه يملك تسعًا وتسعين نعجة ، ومع ذلك يريد أن يضم نَعْجَته إلى نِعَاجِه ..
- أسلوب عرض القضية يُظْهِر الأخ الغني بمظهر الظالِم الذي لا يقنع بما عنده ويطمع فيما لدى الأخ الفقير مما جعل « داود » (عليه السلام) يقرِّر أن هذا الأخ الغني قد ظلم أخاه الفقير ، وأن هذا هو دأب الشركاءِ إلا القليل منهم ..
- تبيَّن « لداود » (عليه السلام) أنه أتى ما يستوجب التوبة والإنابة والاستغفار فَخَرَّ ساجدًا عقب كلامه مع الخصمين مباشرة .. ولم تذكر الآيات ماهية الخطأ الذي ظن « داود » (عليه السلام) أنه وقع فيه ..
- بالتأمل في الآيات وبالنظر إلى ظاهر اللفظ فيها يبدو أن الخطأ كان في التَّسَرُّع بإصدار الْحُكْم بعد الاستماع لأحد الخصمين دون الآخر – إذ لم تَحْكِ لنا الآيات وجهة نظر الأخ الغني صاحب النِّعاج التسع والتسعين – وكان الواجب الانتظار حتى يدافع الآخر عن نفسه ويُبْدِي وجهة نظره !
- وبافتراض منح الآخر فرصة للكلام .. أَلَمْ يكن من المحتمل أن يقول إنه يريد أن يريح أخاه ويحمل عنه عبء الخروج إلى المرعى من أجل نَعْجَة واحدة ويحميه من غدر الزمن إذ لو ماتت نعجته لأصبح معدومًا .. أما إذا كفلها هو ، ورعاها مع نعاجه ، ثم ماتت ، فسيتحمَّل هو مسئولية موتِهَا ، ويعوِّض

أخاه عنها بأخرى من خير نعاجه ؟!!

● على كل الأحوال فإن العبرة في القصة أن على القاضي أن يتحلَّى بالْحِلْم والصبر ، وألا يحكم بعاطفته وأن يتجرَّد تمامًا من الهوى فلا يتأثر بفقر أحد الخصوم أو بغناه ، أو بقرابته أو بعداوته ، أو بضعفه أو بقوته ، وألا يحكم إلا بعد سماع كلام كل الخصوم ..

نسأل الله تبارك وتعالى القَصْد في الغِنَى والفقر ..
والعَدْلَ في الرِّضَا والغَضَب ..



قول الله تعالى

أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾

سورة الزُّمَر

من المعلوم أن أكرم ما في الإنسان هو وجهه ففيه البصر والسمع والنُّطق والشَّم والذوق ، وهو أيضًا أَرَقُّ الأعضاء فجلده أرقُّ من جلد الذِّراعين والرِّجْلَيْن .. وبالوجه يواجه الإنسانُ الناسَ وعليه يظهر التعبير عن مختلف المشاعر ، كالفَرَح أو الْحُزْن ، والرِّضَا أو الغَضَب ، وما شاكل ذلك .. وقد نَهَى النبي (ﷺ) عن ضرب الوجه كنوع من أنواع العِقَاب ، كما نَهَى عن لَطْمِه كنوع من أنواع التعبير عن الْحُزْن .. وخوف الإنسان على وجهه خوف غريزي يجعله يدفع عنه الأذى بيديه ويحميه بِهِمَا أو ينحرف به بعيدًا عن مصدر الأذى الْمُتَوَقَّع .. وكل ذلك أمر واقع ملموس ..

- وبالتأمل في هذه الآية نجد أن الأمر مختلف .. فها هو مَنْ يَتَّقي بوجهه سوء العذاب فكيف ذلك ؟!
- كيف هان عليه وجهه ، وهو مجتمع الْحَوَاس ؟!
- هل غُلَّت يداه ورجلاه ؟ وإذا كان الأمر كذلك فأي عضو من جَسَدِه يحميه بوجهه ؟! وهل هناك ما هو أهم من الوجه حتى يُضَحِّى بوجهه في سبيله ؟!!

سبحانك يا رب سبحانك ..

اللهم قِنَا عذابك يوم تَبْعَثُ عِبَادك ..

قول الله تعالى

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (٣٠)

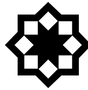
سورة الزُّمَر

تلك آية لها وقع شديد على النَّفْس فالخطاب فيها لسيد الخلق (ﷺ) ، والموت أمر تخافه النَّفْس البشرية بالغريزة ، ويدفعه الإنسان عن نَفْسِهِ بكل الوسائل ..

- وإذا كان النبي (ﷺ) يعلم أن الموت حق ، ويعلم أن مصيره إلى الرَّفِيق الأَعْلَى حيث الأمن والأمان ، والرِّضَا والرِّضْوَان ، فإن الفِرَاق له لَوْعَة بدليل أن عينيه (ﷺ) دمعتا على فراق ابنه « إبراهيم » وعلى أصحابه الذين استشهدوا أمثال « حَمْزَة » ، و« زَيْد بن حَارِثَة » ، و« جَعْفَر بن أبي طالب » ، و« عبد الله ابن رَوَاحَة » ، وغيرهم (رضي الله عنهم أجمعين) ..
- فكيف كان وَقْع هذه الآية على أهله وأصحابه الذين كانوا يَفْتَدونه بأرواحهم ولا يناديه أحدهم إلا بقوله : (**بِأَبِي أنْتَ وأُمِّي يا رَسُولَ الله**) ..
- لا شك أن الآية بصياغتها على هذا النحو دليل من الأدلة التي لا تُحْصَى على صدق النبي (ﷺ) ، فإن مَنْ يَعْلَم أن الموت آتيه لا محالة لا يَجْرُؤ على الكذب على الله ..
- وهي أيضًا بيان للأُمَّة بأن الرسول بَشَر يجري عليه من السُّنَن ما يجري على البَشَر وأن الله هو الْحَيّ الذي لا يموت ، وأن المرجع إليه فيقضي بين الناس بالحق فيما كانوا فيه يختلفون ..
- من اللافت للنظر أن قبر النبي (ﷺ) هو القبر الوحيد الموجود من قبور الأنبياء جميعًا .. فهل لذلك دلالة ؟!

- والموت على رغم أنه حق إلا أن الإنسان يتناساه ويبتعد عن ذِكْره قدر إمكانه .. ويساعده الشيطان على ذلك فيُمَنِّيه بطول العمر ..
- والغفلة عن الموت تُورث في القلب قسوة ..
- وتجعل الدنيا هدفًا وغاية ..
- ولذا قيل : مَنْ أَرَادَ وَاعِظًا فالْمَوْتُ يَكْفِيه ..
- وبالمقابل فإنه لا يصح لأحد أن يتمنَّى الموت لِضُرٍّ أصابه ، أو جائحة نزلت به ، أو بدعوى حب لقاء الله ، وإنما عليه أن يَتْرُك الأمر للعليم الخبير ، فرسول الله (ﷺ) يقول : (**لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُ منْكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِه ، فَإِنْ كَانَ لاَبُدَّ مُتَمَنِّيًا للْمَوْت فَلْيَقُلِ : اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحيَاةُ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي**)[1] ..

اللَّهُمَّ توَفَّنَا مُسْلمِينَ .. وَأَلْحِقْنَا بالصَّالحِينَ ..
واجْعَلْ خَيْرَ أَعْمَالِنَا خَوَاتِيمَها .. واجْعَلْ خَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ لِقَائِك ..



[1] رواه البخارى كتاب الدعوات .

قول الله تعالى

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾

سورة غَافِر

هذا صوت الحق في خضم الادِّعاءات والافتراءات ..

فقد زعم « فرعون » للناس في مصر أنه رَبُّهم الأعلى ، واسْتَعْدَاه المنتفعون والمنافقون من حاشيته على « موسى » (عليه السلام) ، وحرَّضُوه على قَتْله ، وأجَّجُوا فيه غروره واستكباره فطلب من وزيره أن يبني له صَرْحًا عاليًا يصعد فيه باحثًا عن رَبِّ موسى .. وهكذا الباطل لا مَنْطق له ولا عَقْل ولا سَنَد ..

ولننظر إلى مقالة الحق مُتَأَمِّلين :

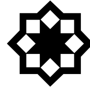
- لو أن إنسانًا قال لك : احذر فأمامك حُفْرَة .. ألا تتراجع إلى الوراء فورًا ثم تبحث عن الْحُفْرة ؟! لو أن إنسانًا حذَّرك من ثُعبان وراءك .. ألا تقفز إلى الأمام أولاً ثم تنظر لترى ذاك الثعبان فتقتله أو تتَّقيه ؟ .. إن الحذر من الخطر هو التصرف الطبيعي والغريزي للإنسان .. فهل يُعْقَل أن تُكَذِّب مَنْ حذَّرك وتتشكَّك في كلامه ؟! ..
- من الطبيعي أن مَنْ أراد أن يحصل على أَحْسَن النتائج فعليه أن يفترض أسوأ الفروض ..

• من هذا المنطلق كان منطق « مؤمن آل فرعون » حين قال : يا قوم ذاك رجل يَدَّعِي أنه رسول من عند الله ويُحَذِّركم عِقَابَه فَدَعُوه وشأنه ، ولا تحاربوه أو تقتلوه ، فإنه إن كان كاذبًا لم يُصِبْكم شيء ولن ينالكم منه ضَرَر ، أما إن كان صادقًا وقتلتموه فسيقع بكم ما حَذَّركم منه .. والمنطق السليم يقضي بافتراض صِدْقِه مع افتراض كذبه ..

ومع ذلك لم يَسْتَجِبْ « فرعون » لهذا المنطق السليم والقول السديد وسار وراء كبره وعلوِّه ، وتزيين حاشيته لأمره فكانت عاقبته الْخُسْرَان ..

وتلك عاقبة كل مُتَكَبِّر جَبَّار ..

فسبحانَ الْمُتَكَبِّر بِحَقّ الكَبِير الْمُتَعَال !!



قول الله تعالى

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾

سورة غَافِر

الأنعام هي : (الإبل – البَقَرَ – الغَنَم – الْمَعْز) .. وقد جاء ذكرها وذكر منافعها كثيرًا في سُوَر متعدِّدة من القرآن ، وسُمِّيت سورة كاملة باسمها وهي « سورة الأنعام » .. وفي هذه الآيات يأتي ذكر الأَنْعَام ويُذْكَر من منافعها الركوب والأكل ، ويُجْمَل الباقي مُبْهَمًا بكلمة (منافع) ، ثم تُخَصّ بالذِّكْر منفعة أخرى لم تحدَّد تفصيلاً وهي بلوغ حاجة في صدور مستخدميها والمنتفعين بِهَا .. ولقد فسَّرَها العلماء بالسَّفَر عليها وحمل الأثقال .. مع أن الركوب قد ذُكِرَ في الآيات ..

ونرى – والله أعلم – أن هذا من إعجاز القرآن إذ يفهم أهل كل عصر وزمان ما يتلاءم مع المعلومات في زمانِهِم ، ثم تتجدَّد المعلومات وتتنوَّع فتحتمل الآيات المعاني الجديدة وتستوعب المكتشفات التي لم يكن يعلمها أهل الزمان الماضي .. ومنها على سبيل المثال في معرض هذه الآية :

- اكتشافُ العلماء طريقة لاستخلاص (الأنسوُلين) من البقر وهو علاج معروف لمرضى السُّكَّر ..
- استخلاص (الغِرَاء) من حوافر الخيل وأظلاف الأنعام ..
- استخدام (الأمعاء) في صنع الخيوط الجراحية وأوتار الآلات الموسيقية ..

هذا .. وقد تُكْتَشف منافع أخرى مع التقدُّم العِلْمي وتدخل تحت معنى الآية ..

وسبحان مَنْ يَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُون !!

قول الله تعالى

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٠ ﴾

سورة فُصِّلَت

يُبْعَث الناس يوم القيامة ، وتُعْرَضُ عليهم صحائفهم ، ويُجادل المجرمون ويُكَذِّبون ما سُطِّر عليهم في الصحائف ويجترئون ويَحْلِفُون لله كما يحلفون للناس ويَظُنُّون أن أيمانـــهم الكاذبة تُنجيهم من عذاب الله .. وتشهد عليهم جلُودُهم وجوارحُهم بعد أن يختم الله على أفواههم .. والشهادة قد تكون بالنطق بالكلام كما قال بعض العلماء أي بلسان المقال – والله قادر على أن ينطق كل شيء حتى الجمادات – وقد تكون الشهادة بلسان الحال ..

وتأمل ما يلي :

- في عصرنا هذا اخترع العلماء أجهزة للتصوير ، ولتسجيل الصوت ، وللعرض على شاشات السينما وشاشات أجهزة استقبال الإذاعات المرئية ..
- تُعْرَضُ علينا أفلام صُوِّرت من سنين ، وإذا بالممثلين الذين ماتوا يتحرَّكون ، ويتكلَّمون ، ويضحكون ، ويفعلون .. وكذلك مسرحيات نرى فيها الممثلين ، ونرى أيضًا المتفرِّجين الذين كانوا يشهدون الحفل في ذلك الوقت .. كما تُعْرَض أفلام تسجيلية لزعماء وحكام وهو يخطُبُون أمام شعوبِهِم ويَعِدُونَهُم بأمور وأمور ..
- من المعلوم عِلْمِيًّا أن انتقال الصور عبر الفضاء لا حدود له والعبرة بالأجهزة

التي تلتقط المشاهد المختلفة وتُسَجِّلها وها هي (الأقمار الصناعية) تدور حول الأرض في الفضاء تلتقط الأصوات ، والصور ثم تعيد إرسالها إلى الأرض فتلتقطها أجهزة الاستقبال ، وكل هذا يتم في لحظة ..

- يطمع العلماء في تصوير مجموعات النجوم البعيدة والتي يصل إلينا ضوؤها بعد مئات بل آلاف السنين ، وبالنظر إلى الصُّوَر نعرف كيف كان حال هذه النجوم منذ آلاف وملايين السنين والتي قد لا تكون موجودة بالفعل الآن .. ولتقريب الأمر من الأذهان فإن ضوء الشمس يقطع المسافة من الشمس إلى الأرض في ثماني دقائق .. أي إننا حين نرى الشمس لأول وهلة عند الشروق فمعنى ذلك أنَّها قد أشرقت منذ ثماني دقائق ، كذلك حين نرى نجمًا من النجوم فإن ما نراه الآن هو ما كان عليه حين انبعث منه ضوؤه الذي رأيناه .. ومهما ابتعدت النجوم فإن صورتها لا تتلاشى والعِبْرة بالعين التي ترى ، وقُوَّتها بذاتِهَا أو بالعدسات الْمُكَبِّرة .. وكذلك الأصوات فإنَّها لا تتلاشى والعِبْرة بالأُذُن التي تسمعها ، وقوتها الذَّاتية أو ما تستعين به من ناقلات الصوت ومكبِّرَاته .. وعليه فإن كل حركة للإنسان على الأرض وكل صوت له ينتقل في الفضاء كما هو ويبقى ولا يتلاشى !!
- لو أُتِيَ بِهَذه الموجات الصوتية والضوئية أمام الخلائق يوم القيامة لرأوا أنفسهم حقيقة وهم يتحرَّكون ويتكلَّمون ويفعلون ولأُعِيدَت جميع مشاهد الدنيا من حروب ومعارك ، وبلاغ من الرُّسُل لأقوامهم ولأُعِيدَت مشاهد ما فعله الناس مع رُسُلِهم من استجابة لدعوتِهِم أو رفض لها .. ولرأينا

« آدم » (عليه السلام) وهو يهبط إلى الأرض ، ولرأينا سفينة « نوح » (عليه السلام) وهي تجري في موج كالجبال ، ولرأينا « موسى » (عليه السلام) وهو يجتاز بقومه البحر .. وهكذا ..

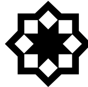
كل ذلك رؤية حقيقية للأحداث وليس تسجيلاً لها .. وهو نطق للأجسام والجوارح والجلود .. نطق حقيقي لا يمكن للإنسان أن ينكره .. فهو كتاب الكون الذي يُوضَع أمام الخلائق فيجدونه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ..

ولو تأمل الإنسان هذا المعنى لحافظ على نفسه من الفضيحة أمام الخلائق جميعًا يوم القيامة ..

فسبحان القَادِر على كُلِّ شيء .. الذي أحاط بكُلِّ شيء علمًا !!

اللهم لا تُخْزِنَا يوم العَرْضِ عليك ..

ولا تَفْضَحْنَا بين خَلْقِكَ ولا بين يَدَيْك ..



قول الله تعالى

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾

سورة الشُّورَى

يا لسعة رحمة الله ، ويا لعظيم عَفْوِه وحِلْمه !!

- تُرَى من أي شيء ولأي شيء تكاد السماوات يتفطَّرْن [1] ، أَمِن كُفْر الناس وإشْرَاكهم بالله عز وجل .. أم من اغترارهم بالدنيا وغفلتهم عمَّا ينتظِرُهم .. أم من ظلمهم لأنفسهم وتظالمهم .. أم من كل ذلك ؟! سبحان الله .. يخلقهم ويعبدون غيره !! يرزقهم ويشكرون غيره !! يزعمون له سبحانه الولد ، ويجعلون بينه وبين الْجِنَّة نَسَبًا ، ويزعمون أنه لا يقدر على بعثهم بعد الموت وينسبون إليه العَجْز !! سبحانه وتعالى عما يشركون .. سبحانه وتعالى عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا ..
- ولقد جاء في مواضع أخرى من القرآن ما يفيد أن الجبال تكاد تَخِرّ هَدًّا ، وتكاد الأرض أن تنشَقَّ وكأنَّها تشارك السماء غضبها على هؤلاء الذين يزعمون لله الولد .. وحِلْم الله عز وجل يمنع السماوات من أن تنفَطِر ، ويمنع الأرض من أن تنشَقَّ والجبال من أن تَنْهَدَّ ..
- وكأن هذه الجمادات قد عرفت قَدْر الله وما يجب له من التقديس والتَّنْزِيه والإجلال ، وجهل الإنسان ذلك !!

---

[1] أي يتشقَّقْن وينْهَدِمن .

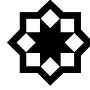
- ومن عجب أن يُقَابَل هذا الغضبُ من السماوات والأرض والجبال باستغفار الملائكة لِمَنْ في الأرض .. ومن المعلوم أن الملائكة غير مُكَلَّفِين ، وأنَّهم يفعلون ما يُؤْمَرون .. أفيستغفرون لِمَنْ في الأرض من تلقاء أنفسهم ؟ أم إن الله تبارك وتعالى قد أمَرَهُم بذلك ؟! أم إنَّهم أُلْهِمُوا التسبيح والاستغفار وخُلِقُوا لذلك ؟!!
- واستغفار الملائكة المذكور في هذه الآية استغفار عام لكل مَنْ في الأرض حتى لا يُعَجِّل الله لهم العذاب ، وحتى لا تنخسف بهِم الأرض ، أو تسقط عليهم السماء .. ولعل الله أن يُمْهِلَهم فيرجعوا عن غَيِّهم وضلالهم ..
- وهناك استغفار خاص ودعاء ، من حَمَلَة العرش وممن حوله من الملائكة للذين تابوا واتَّبعوا سبيل الله ، أن يُدخلهم الله جنات عَدْن ومَنْ صلح من آبائهم وأزواجهم وذُرِّيَّاتِهم ، ويعصمهم من السيئات ..
- فانظر إلى رحمة الله الواسعة كيف أَذِنَ لحملة العرش ومَنْ حوله أن يستغفروا للتَّائبين ، وأذن للملائكة عمومًا – ولعلهم صنف آخر – أن يستغفروا لأهل الأرض جميعًا !!
- ومن عجب أن يغفل الإنسان عن الاستغفار لذنوبه مع أن الاستغفار واجب من الواجبات بل هو من الفرائض المأمور بِهَا .. وقد أُمِرَ النبي (ﷺ) أن يستغفر في أكثر من موضع في القرآن ، وهو مَنْ غُفِرَ له ما تَقَدَّم من ذنبه وما تَأَخَّر ، ويقول « أبو هريرة » (رضي الله عنه) : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ : (**وَاللَّهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**)[1] ..

---

[1] رواه البخارى كتاب الدعوات .

- فكيف بنا ونحن نُخْطِئ بالليل والنهار .. وربنا جل وعلا يسترنا بالليل والنهار ولا يقطع رزقه عنا ..

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وإلا تَغْفِر لنا وتَرْحَمْنَا لنَكُونَنَّ من الْخَاسِرِين ..
رَبَّنَا اغْفِرْ وارْحَمْ ، واعْفُ وتَكَرَّم ، وتجاوَزْ عما تَعْلَم إنَّكَ أَنْتَ الأَعَزُّ الأَكْرَم ..



قول الله تعالى

﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾

سورة الشُّورَى

تلك حقيقة واقعة تقرِّرها الآية الكريمة .. إن أي ضَرَر ، أو شَرٍّ ، أو مرض ، أو أَلَم ، أو تَعَب ، أو وَصَبٍ ونَصَب يصيب الإنسان هو نتيجة حتمية لأفعاله .. بل لبعض أفعاله لا لها كُلِّها .. فقد اقتضت رحمة الله بعباده ألا يؤَاخذهم على كل أفعالهم في هذه الدنيا ، بل يعفو عن الكثير من الأفعال الخاطئة ، ثم يُصيب على القليل جدًّا منها ببعض المصائب لعل المصاب يُفِيقُ ويتَنَبَّه فيتوب ويرجع إلى الله ، فيغفر الله له ..

- ومعنى ذلك ببساطة شديدة أن الإنسان إذا أخطأ ثم استغفر غُفِرَ له .. وإذا أخطأ ثم استَغْفَر غُفِرَ له .. وإذا أخطأ ولم يستغفر أُمْهِل ولم يُعاجِله الله بالعقوبة .. فإذا كثرت ذنوبه عفا الله عن الكثير وسلَّطَ عليه من البلاء بعضَ ما يكفِّر به عن خطاياه ، كالمرض ، أو النقص في الأموال ، وغير ذلك .. ومهما قَلَّ قَدْر الْمُصِيبَة - حتى الشوكة يُشَاكها المسلم - يُكَفِّرِ الله بِهَا عنه من خطاياه وذُنُوبه ..

والناس إزاء ما يبتلون به من مصائب أنواع ثلاثة :

- صنف يَرْضَى بقضاء الله وقَدَرِه ويرى فيه الخير كل الخير ، ولا تسمع منه شكوى أو اعتراضًا ، وذلك الصنف مرفوع الدرجات بما أصابه فَرضى به ..
- صنف يتنبَّه إلى أن ما أصابه ناتج عن ذنب ، أو خطأ يعلمه أو لا يعلمه ، فيستغفر ويتوب ، ويسأل الله العفو والعافية ، ويحتمل ما أصابه صابِرًا

مُحْتَسِبًا .. وذلك الصنف مُكَفَّرٌ عنه سيئاته بما أصابه فصبر عليه ..

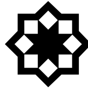
- صنف يجزع لأي شيء يصيبه ويشكو ويتبرَّم ، ويعترض على ما أصابه .. كيف .. ولماذا أصابه من دون الناس ؟ وهكذا .. وذلك صنف مُعَاقَب بما أصابه على ما ارتكبت يداه ..

وعلى كل الأحوال فإن الآية تدل على عظيم حِلْم الله عز وجل ، وسعة رحمته ، ولطفه بعباده ..

فعلينا أن نشكر حين الرَّخَاء ..

وأن نَصْبر عند البلاء .. وأن نرضى بالقَضَاء ..

وأن نسأل الله تبارك وتعالى العَفْوَ والعافِيَة في الدِّين والدُّنْيَا والآخِرَة ..



قول الله تعالى

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾

سورة الزُّخْرُف

- ذِكْرُ الله عز وجل من أعظم النِّعَم التي ينعم بهَا الله على عباده .. وبِذِكْرِ الله تطمئن القلوب وتَهْدأُ النفوس ، ويشعر الذَّاكِر لله بالأمان في كل أوقاته إذ إن الذِّكْر صُحْبَة مع الله .. وكلما ذكر العبد رَبَّه ذكره الله ..
- فإن شَكَرَهُ على نِعْمَة حفظها له وزاده ..
- وإن سأله ودعاه أعطاه وأَجَابَه ..
- وإن لجأ إليه أَيَّدَه ورَعَاه ، وإن توكَّل عليه رزقه وكَفَاه ..
- وشعور الذَّاكِر لله بالأُنْس والطمأنينة شعور لا يعادله شعور ، ولا يمكن وصفه ولكنه يُحَسّ .. ومَنْ ذاق عَرَف .. ومن أَلْهَتْه الدنيا ، وخدعته نفسه فغفل وتعامى عن ذِكْر الله محروم من السَّكِينَة والطمأنينة ، مُعَرَّض للتَّشَتُّت والضياع ..

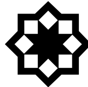
وبالتأَمُّل في الآيتين نجد أن لهما دلالات تَلْفِتُ النظر :

- التعبير بلفظ (ٱلرَّحْمَٰنِ) يلفت النظر إلى خسارة من عَشَا عن الذِّكْر وتغافل عنه ، وعمَّا كان يمكن أن يجنيه من الرحمن الذي يمد الإنسان بكل ما ينفعه ، وما يُصْلحه ، والذي يحيطه بالرعاية ويرحمه في الدنيا والآخرة ..
- التعبير بكلمة : (نُقَيِّض) تعني : نُتيح ونُخصص له شيطانًا يستولي عليه

ويوسوس له ويحيط به إحاطة القَيْض [١] بالبيض فلا مهرب منه ولا فِكَاك ولا مَنْفَذ ولا أَمَل في النجاة ..

- فكلامه كلام الشيطان ، وتصرُّفه تصرف الشيطان ، وتفكيره تفكير الشيطان ..
- الأخطر من كل ذلك أنه يَحْسَبُ نفسه على صواب في كل ما يقوله أو يفعله !! وبالتالي :
- فلن يتنَبَّه أبدًا ، ولن يرجع عن غيِّه ..
- ويصبح مُنْسَاقًا إلى الهلاك والدَّمَار والْخِزْي والعَار انسياقَ الأَعْمَى ..
- وذلك جزاء تعاميه عن ذِكْر الله ..
- هذا .. وقد سَنَّ لنا النبي (ﷺ) كثيرًا من الأذكار تناسب كل الأحوال .. فمنها ما يُقَال قبل الطعام والشراب وبعدَهما ، ومنها ما يُقَال قبل قضاء الحاجة وبعده ، ومنها ما يُقَال عند لبس الجديد من الثياب ، ومنها ما يُقَال قبل النوم وحين الاستيقاظ ، ومنها ما يُقَال عند الخروج من المنـــزل وعند الدخول إليه ، وهكذا .. فعلينا أن نحفظها ، ونواظب عليها ..

اللَّهُمَّ لا تُؤَمِّنَّا مَكْرَك .. ولا تُوَلِّنا غَيْرَك .. ولا تَرْفَعْ عنَّا سترَك ..
ولا تُنْسِنَا ذِكْرَك .. ولا تَجْعَلْنَا من الغَافِلِين ..



[١] القَيْض : قشر البَيْض .

قول الله تعالى

وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾

سورة الواقعة

- لقد وُصِفَت الْجَنَّة ، ووُصِف ما فيها في مواضع كثيرة من القرآن .. وهو كل ما يشتهيه الإنسان في هذه الدنيا ويرى أنه من النَّعِيم ، كعيون التَّسْنِيم والسلسبيل والماء الممزوج بالكافور ، وأنْهَار اللبن ، والعَسَل ، والْخَمْر ، والنَّخْل ، والفاكهة ، والرُّمَّان ، والأعناب ، والطَّلْح [1] ، والظِّلّ الممدود ، والماء المسْكُوب ، والفُرُش المرفوعة ، وملابس الحرير ، والْحُلِيّ ، والأساور من لؤلؤ وذَهَب وفِضَّة ، والْحُور العِين ، والولدان الْمُخَلَّدون ، والمقام الأمين ، والأُخُوَّة الخالصة من الغَدْر والغِلّ ، والمقابلة بين الأَحِبَّة والأَخِلاَّء على سُرُر مَوْضُونَة ، والسلامة من الآفات ، ودوام النعيم واللَّذَّات ، وكل ما تشتهيه النفوس ، وتَلَذُّ به الأعين .. إلخ .. بالإضافة إلى عدم سماع ما يُؤْذِي ، أو يُضْجِر ، أو ما لا طائل وراءه من لغو الحديث .. بل سماع السلام من الملائكة ، والاستمتاع بالرَّوْح والرَّيْحَان ، وبكل ما يُسْعِد ويَسُرّ ..
- ومما يُدهش أنه - من بين كل الأوصاف المتعدِّدَة والمتكرِّرة في القرآن - قد أتى هذان التعبيران عن الفاكهة ولحم الطير في الآيتين المذكورتين مختلِفَيْن باختلاف الطعام المذكور .. فالفاكهة مما يختارونه .. أما اللحم فمما يشتهونه .. إذًا فالفاكهة موجودة ، ومتعدِّدة الألوان والأصناف والطعوم ، وأهل الْجَنَّة يختارون ما يشاؤون فيقتطفون .. أو يأمرون فيُطَاف عليهم بما يشاؤون ..

---

[1] الطَّلْح : الموز .

أما اللحم فهو مما تشتهيه أنفسهم وتحدثهم به من مختلف أصناف لحوم الطيور .. فالاشتهاء هو اشتهاء اللحم وليس اشتهاء الطير نفسه إذ لو كانت الطيور متاحة كالفاكهة وكانت محل اشتهاء واختيار لكان معنى ذلك أن الطائر الْمُشْتَهَى هو بذاته لابد أن يُقَدَّم طعامًا لِمَن اشتهاه مما يستلزم ذبحه ، وتقطيعه وطهيه .. والجنة ليس فيها أَلَم ، ولا عذاب ، ولا موت .. وهكذا لا تجد أي اختلاف أو خلل في آيات القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. حَقًّا إنه تَنْزِيلٌ من حَكِيم حَمِيد ..

- وقد قال « عبد الله بن عباس » (رضي الله عنهما) : (**لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ ، مِمَّا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ الأَسْمَاءُ**)[1] .. كأن ما في الجنة ليس فيه من صفات ما في الأرض إلا التَّشَابُه في الأسماء فقط .. أما الحقائق فهي شيء آخر فالأسماء نخل ورُمان وخمر ولبن وعسل لكن الحقيقة شيء آخر ..
- والذي يدل على ذلك وصف جاء في « سُورَة الإنسان » لقوارير ليس لها مثيل في الدنيا ألا وهو – قَوارِير من فضة – وهي الكؤوس من الفضة الشفَّافة التي يشربون فيها خمرهم ، وليس في الدنيا فضة شفافة مطلقًا ولن توجد .. حقًّا ليس في الجنة من دُنْيَانَا إلا الأسماء ..
- وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول : قَالَ اللَّهُ : (**أَعْدَدْتُ لعِبَادِي الصَّالحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**) فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ)[2] ..[3]

---

[1] البعث والنشور للبيهقي . [2] سورة السجدة آية ١٧ . [3] رواه البخاري كتاب بدء الخلق .

وبعد أيها القارئ الكريم ..

فقد كانت تلك رحْلة سريعة عبر أَحْسَن القَصَص وأصْدَق الكلام قُصد منها بيان حلاوة التأَمُّل في آيات الله عز وجل .. وكيف أن إعمال الفكر في الآيات يُثْمِر معانِيَ لم تكن تخطر للمتأمل ببال ، ويزيد يقينه بأن القرآن حق وأنه من عند الله ، ويُنْشِيء بين المتأمل والقرآن أُلْفَةً تجعله يداوم على قراءته ، وتدبره والتفكر في ألفاظه ومعانيه .. فيزداد قُرْبًا من الله ، وتقرُّبًا إليه ، وسعيًا إلى مرضاته ..

ولقد تعامل بعض الناس مع القرآن بما لا يَصِحّ ولا يجب مما وضعه في غير موضعه من النفوس والقلوب ، وإليك أمثلة لذلك :

- وضع المصاحف الْمُذَهَّبَة في السيارات عند شرائها لحصول البركة التي تمنع الحوادث !!
- كتابة آيات كريمة على حُلِيّ ذهبية تلبَسُها الفتيات والنساء ، وللأسف ، يلبَسُها بعض الفتيان أيضًا !!
- تعليق المصاحف المكتوبة في صفحة واحدة أو بعض الآيات المكتوبة بأشكال زخرفية على الجدران في المنازل والمكاتب !!
- ادِّعَاء العلاج به وكتابة الآيات في أحْجِبَةٍ تُعَلَّق على الصدور أو تُوضع في الفراش الذي ينام عليه المريض ..
- الإتيان بالْمُقْرِئين في السرادقات المنصوبة للعَزَاء ، واستخدام مكَبِّرَات الصوت بطريقة تجعل أهل الْحَيِّ لا يترَحَّمُون على الميت ويسيئون الظن بأَهِله .. فمِنَ الناس نائم ، ومنهم مريض ، ومنهم مستذكر لدروسه ، ومنهم .. ومنهم !!

- اللجوء إلى القرآن ، فقط في حالات حدوث وفاة ، لقراءته في المقابر أو البيوت أو سُرَادِقات العزاء مما يُورِث التشاؤم عند مَنْ يُفَاجَأ بقُرآن يُتْلَى قريبًا من مَنْزِله فيبادر مَنْ يلقاه متسائلاً : مَنِ الذي مات ؟!!
- طريقة تَكَسُّب بعض قُرَّاء القرآن بقراءته عند المقابر أو في أماكن تلقِّي العزاء .. وتنافسهم في التغنِّي واختراع النغمات وعدم التقيُّد بأحكام التلاوة ، والاهتمام بالصوت والنَّغَم فقط .. كل ذلك يُؤَثِّر سَلْبًا على منـــزلة القرآن وأَهْلِه في نفوس العامة ..

ذلك بعض ما نشاهده من أمور خرجت – للأسف الشديد – بالقرآن عن وظيفته الأساسية .. ألا وهي :

- الهداية إلى الرَّشَاد ، وإلى الطريق المستقيم ..
- العمل بما جاء فيه وتدبُّر معانيه ، والتعبُّد بتلاوته ..
- الاحتكام إليه في أمور الدُّنْيَا والدِّين ..

وإنَّا لَنَضْرَعُ إلى الله العَلِيِّ القَدِير ..
أن يجعلَنَا من أَهْلِ القرآن .. وأن يرزقنا تدبُّرَه والتأَمُّل في آياته ..
والعمل بما جاء فيه .. وفَهْم ألفاظه ومَعَانِيه ..

ياسين رشدي

الكتاب القادم

١٣ من علوم القرآن وبَلاَغَتِه

الوقف والابتداء .. المُحْكَم والمُتَشَابِه .. التقديم والتأخير .. الناسخ والمنسوخ .. المُطْلَق والمُقَيَّد .. المنطوق والمفهوم .. العام والخاص .. الخبر والإنشاء .. الوجوه والنظائر .. الإيجاز والإطناب .. السؤال والجواب .. فضل القــرآن .. آداب تلاوة القــرآن ..

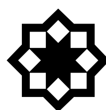
الفهــرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس



رقم الإيداع ١٩٩٦ / ٧١٤١

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 – 14 – 0460 - 1

إصدارات

فضيلة الشيخ / ياسين رشدي

١- سلسلة كتب الطريق إلى الله (خمسة عشر كتابًا) .

٢- التفسير الجامع لمعاني القرآن الكريم .

٣- شرح كامل واف للأحاديث النبوية التي أوردها الإمام البخاري في صحيحه .

٤- مجموعة من الإجابات الواضحة على أسئلة في مواضيع شتى تَهُم المسلم في دينه ودنياه .

هذا .. والجدير بالذكر أن جميع الإصدارات السابقة متوفرة على شرائط مسموعة ومرئية وأسطوانات (cd) ، وموجودة أيضًا على الموقع الإلكتروني لجمعية المواساة الإسلامية www.mouassa.org

لجنة نشر الثقافة

جمعية المواساة الإسلامية بالإسكندرية